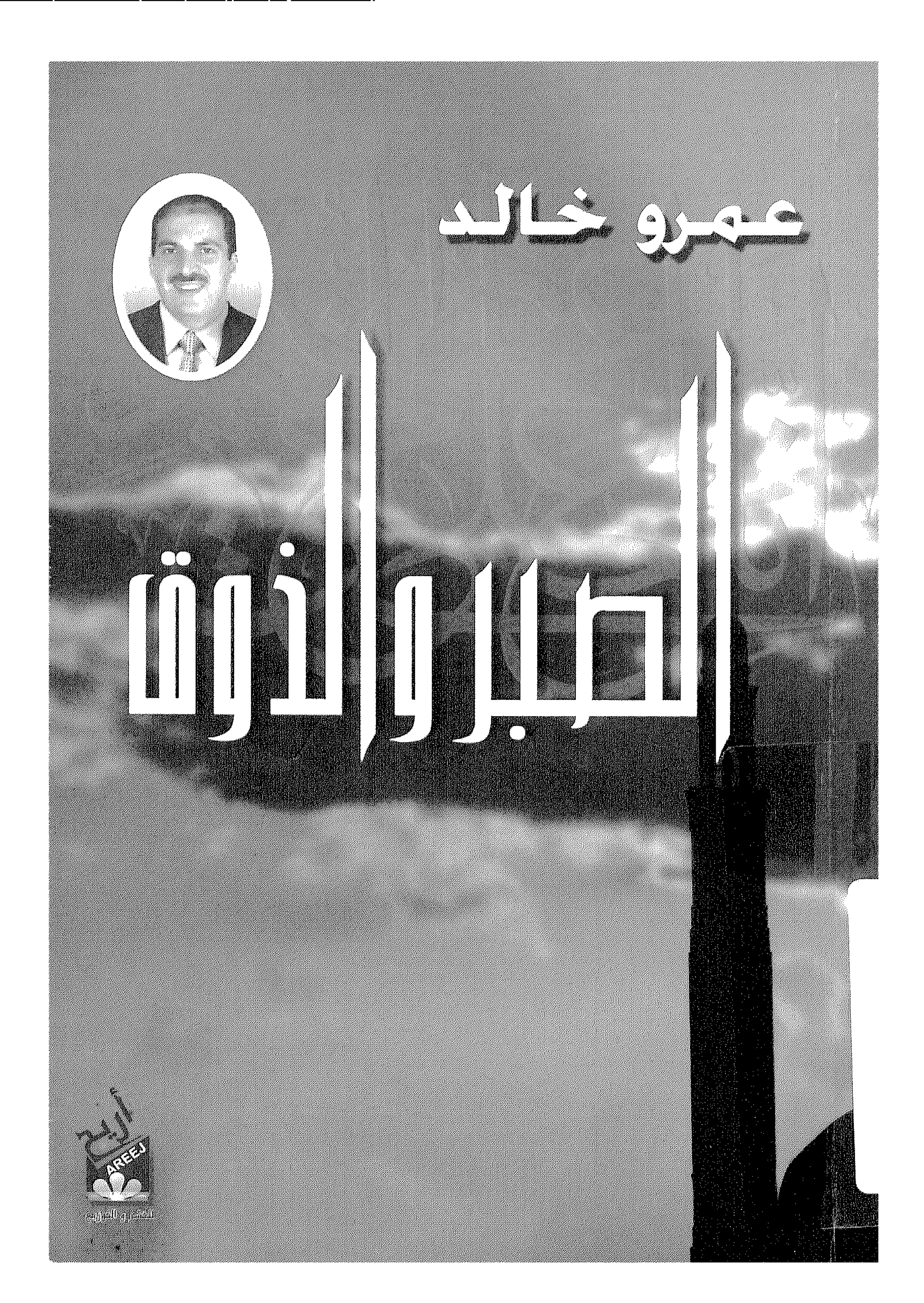

عمرو خالد
الصبر والذوق
AREEJ




الصبر والذوق
(أخلاق المؤمن)

الطبعة الرابعة

٢٠٠٤ م = ١٤٢٥ هـ

طبعة بإذن خاص من

دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع

رقم الإيداع ١٨١٦٩/٢٠٠٢

عمرو خالد







المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وجعل فيه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، أحمده حمداً لا يحصى على كرمه وآلائه مادامت الأرض قائمة تحت سمائه وصلى الله على سيدنا محمداً وعلى آله عدد كمال الله وكما يليق بكماله.

أما بعد:

بعد صدوركتابي الثاني بعنوان: **«أخلاق المؤمن»**، وما للأخلاق من أهمية في حياة الإنسان المؤمن وهذا ما يؤكده قول الحبيب المصطفى ﷺ: **«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»** فلقد اتبعته بكتاب ثالث بعنوان: **«الصبر والذوق»**؛ وهي أخلاق إسلامية تضاف إلى الأخلاق التي ذكرتها في كتابي: **«أخلاق المؤمن»** لتعزز الصفات المميزة التي يتحلى بها الإسلام والمسلمون ليكونوا صادقين مع أنفسهم باتباع خير الأنام ﷺ.

معتمداً أسلوبي الحواري المبسط الذي يتفاعل مع القارىء بشكل مباشر أخاطب عقله تارة... أحرك قلبه تارة أخرى،

واستحثه على علو الهمة والتطبيق العملي للخلق مرات عديدة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، راجين من الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ويجعله في ميزان حسناتنا يوم الدين.

أخوكم

عمرو خالد

2 رجب 1423هـ.

الصَّبْر

من أمهات الأخلاق

خُلق من أُسسِ الأخلاق في ديننا الحنيف. . . من أمهات الأخلاق.

مُتَغَلْغِل في حياة البشر جميعاً. . . إنه خُلُق الصّبر.

أحياناً يأتي بعض الشباب ويقول لي: إني أعاني من معصية كذا. . . فماذا أفعل؟ فأقول له: اصبر، فلا يعجبه الكلام، ويعتقد أن ما أقوله كلام نظري.

ويقول آخر: إني أحاول الاستيقاظ مبكراً لصلاة الفجر، ولكنّي لا أستطيع فماذا أفعل؟ فأقول له: اصبر، فيكون ردّه. . . !!.

لقد ضاع المعنى الحقيقي للصبر، وأصبحت كلمة الصبر عند كثير منا تساوي... (كلمة نظرية).

ولكن مَنْ مِنَّا يراها منهجاً عملياً لحلِّ أيِّ مشكلة... وللوصول لأيِّ غاية...!! ؟

الصَّبْر مفتاح... الكون !!

تَفَكَّر معي في مخلوقات الله. . . انظر إلى الجنين في بطن أمه، وانظر إلى مراحله.

إنه لا يكبر فجأة. . . وانظر إلى الزرع فإنه ينمو بتدرج.

وانظر إلى تدرج شروق الشمس وتدرج غروبها. . .

وإليك هذه. . . ألا ترى أن الله تبارك وتعالى خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام، وكان يَقْدِر سبحانه وتعالى أن تكون في يوم واحد أو في طرفة عين. . . !!

انما اراد الله تبارك وتعالى بخلق السموات والارض في ستة ايام ان نعلم... ان كل شيء في هذا الوجود يقوم على التدرج، وان الصبر ليس خُلُقاً انسانياً فحسب، بل هو مفتاح الكون.

سبحان الله... !! ان الكون كله يقوم على فكرة الصَّبْر والتدرج.

كل شيء في حياتنا يحتاج لخُلق الصبر

إذا أردت أن تتفوق في حياتك العملية. . . لا بد أن تصبر 16 سنة مذاكرة.

إذا أردت أن تطيع الله. . . لا بد من الصبر على الطاعات.

إذا أردت أن تترك المعاصي... !! لا بد أن تصبر وتأخذ نفسك بالعزيمة القوية، إذا أردت ... فعليك بالصبر...

ارأيت كيف ان الصبر متوغل في حياتنا الى ايّ مدى... ولذلك يقول العلماء: «كمال الدنيا والدين مرتبط بالصبر».

سبحان الله !! هل هناك شجاعة من غير صبر؟ هل هناك تعمير بلد وبناء قنوات وسدود... من غير صبر؟ هل هناك برّ والدين من غير صبر؟ هل هناك تنمية اقتصادية من غير صبر... ؟؟؟

هل تستطيع قراءة هذا الكتاب والحرص على تطبيق ما فيه بدون صبر. !!؟

بدونه تهلك البشرية... !!

تَخَيّل... بدون خُلُق الصَّبْر... !!

إن الذي جعل الزاني يرتكب هذه الفاحشة أنه لم يصبر حتى يتزوج.

ومدمن المخدرات ما الذي جعله يفعل ذلك؟... إنه لم يصبر على المصيبة التي نزلت به، أو أنه لم يصبر على وقت الفراغ الذي لديه...

اشعر بك الآن... قد ادركت اهمية هذا الخلق... فبدونه تنتهك الحرمات... وبدونه تهلك البشرية.

حقًّا... ان ايّ اكتمال للدين والدنيا مرتبط بالصبر، وايّ نقصان فيهما مرتبط ايضاً بالصبر...

هيا انتفض واعلنها صريحة... «لن أفعل هذه المعصية بعد اليوم وسوف اصبر والله معي وسيعينني».

تشبيه يوضح المعنى ويؤكده

يقول العلماء: إن النفس (الروح) هي ركوبة العبد تسير به إلى الجنة، أو إلى النار، ولجامها الصبر، فإن أنت تركت اللجام وأطلقته ذهبت بك النفس حيث شاءت.

ماذا تفعل لو ركبت سيارتك وبدأت تسير بسرعة (١٠٠ كم)...

ثم اكتشفت ان السيارة بدون فرامل !!

فما بالك لو علمت ان آخر الطريق اما جنة واما نار...!؟

وفراملك هي الصبر... هل تستطيع السير بدون الفرامل؟

الصبر في اللغة

كلمة صبر معناها في اللغة: الحبس أو المنع.

أنا صابر معناها: أنا حابس نفسي، أنا مانع نفسي.

حابس نفسي في الطاعات تعني: مستديم على الطاعات.

حابس نفسي عن المعاصي تعني: أغلقت باب المعاصي.

الا تحب ان تقولها... !؟ ما شاء الله لقد فهمتها من اول مرة.

اللهم أعنّي على حبس نفسي عن... و عن... و عن... و عن...

وأعني على حبس نفسي في... و في... وفي...

اللهم آمين.

تخيَّل... (٩٠) مرة !!

لقد ورد الصبر في القرآن في أكثر من 90 موضعاً، ولم يحدث هذا مع أيّ خلق آخر...

يا الله!! لقد ذكر أكثر من الصدق وأكثر من الأمانة... فأيُّ قيمة لهذا الخلق... !؟

يا من تخلّقتم بالصدق جزاكم الله خيراً... يا من تخلّقتم بالأمانة جزاكم الله خيراً... يا من تخلّقتم بالإحسان والتواضع جزاكم الله خيراً.

أما آن لكم أن تتخلقوا بخُلق الصَّبر؟... ألا يستحق أن تتخلَّقوا به !؟

لقد ذكر في القرآن أكثر من أيِّ خلق آخر.. ماذا أقول بعد ذلك !!؟

أتحب أن تكون في مَعِيَّة الله... !؟

والآن .. أدعوك لتتدبر كلام الله، وتقرأه وكأنما عليك أنزل.

وهيّىء لنفسك جواً إيمانياً خاصاً. . . لتسعد بهذا الفيض الإيماني.

ووصيتي عند قراءة الآيات، أن تقرأها همساً بلسانك. . . وبصوت عالٍ بقلبك. . . هل أنت مستعد؟ هيا بنا. . .

يقول تعالى:

﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1] .

هيا. . . استعِنْ بالصبر والصلاة على أي أمر في حياتك. . .، تخاف على نفسك أن تقع في المعصية؟ عليك بالصبر والصلاة. . . اصبر على طاعة الله .. من لك إلا الله؟.

(1) سورة: البقرة، الآية: 153.

كيف حالك الآن ..؟ أما تذوقت الحلاوة؟ إني أخشى...!! ولكن إن فاتتك الحلاوة فلا تفوتنك الاستفادة... أسمعك تقول: تقصد الصبر؟

نعم اصبر وستجد الحلاوة... ألا تحب أن تكون في معية الله؟

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].

ابشر أيها الصابر... !!

يقول الله تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

مَن الذي يبشّر الصابرين هنا؟... إنه الله... هل أنت متخيل ذلك!؟ ماذا سيفعل معك الله ؟

إياك أن تنسى... لقد قلنا: اقرأ القرآن وكأنه عليك أنزل.

اقرأ الآية مرة أخرى... ما رأيك الآن ...؟... !!

إذاً عليك بالصبر... وابشر.

---

(1) سورة: الأنفال، الآية: 46.

(2) سورة: البقرة، الآية: 155.

هذه بتلك .....«بغير حساب»

والآن . . . أدعوك من كل قلبي أن تستعد لهذه الآية . . . وإياك أن تغفل عن معانيها .

يقول تعالى :

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1] .

أرأيت لو أن أرضاً كادت أن تموت من قلة المياه... فأنزل الله ماء مباركاً عليها... فماذا تكون النتيجة؟... وكأن قلبك هو الأرض وهذه الآية هي الأمطار...

في تفسير هذه الآية يقولون : تُصبُّ عليهم الحسنات صباً ـ لمن صبر ـ بغير حساب، ولماذا الصابرون وحدهم؟؛ لأنهم صبروا على ما ابتلاهم الله في الدنيا . . . فلم يتفوهوا بكلمة واحدة من ضجر وتعب وسخط، ورضوا بقضائه وقدره في الدنيا، فلم يحاسبهم الله في الآخرة، ولذلك فالعمل الوحيد الذي لا تعرف أجره هو الصبر، فمثلاً : ثواب الأعمال الحسنة بعشر أمثالها، والإنفاق إلى 700 ضعف، ولكن الصبر بغير حساب .

يا لسعادته... من اخترقت هذه الآية قلبه.

---

(1) سورة : الزمر، الآية : 10.

وبا لسعادته... بعدما استقرت فيه... ووجد حلاوة الصبر.

أتصبر ويحبك الله... !؟

يقول تعالى:

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].

بعدما قرأت هذه الآية. . . أتصبر أم لا؟

أتصبر وتمتنع عن السجائر ويحبك الله أم لا؟ أتصبر وتغض بصرك ويحبك الله أم لا؟ أتصبر وتقاوم الحرام ويحبك الله أم لا؟ أتصبر وتَبُّر والديك ويحبك الله أم لا؟، أتصبر وتذاكر باجتهاد ويحبك الله أم لا؟

لن يشعر بهذا الكلام الا من تذوقه...

لمن الإمامة في الدنيا والدين ...!؟

يقول الله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[2].

---

(1) سورة: آل عمران، الآية: 146.

(2) سورة: السجدة، الآية: 24.

وهذه كانت مرحلة من مراحل بني إسرائيل، ولكن الشاهد هنا، أن الله تبارك وتعالى جعل القيادة في الدنيا والدين تُنال بشيئين:

1 ـ الصبر 2 ـ اليقين

يا الله... أمة الإسلام الضائعة... الممزقة... كيف تكون سيدة الأمم؟

أولاً: بالصبر... الصبر على الإنتاج... الصبر على تحسين وضع البلد... الصبر على تربية الفرد الواعي المتوازن... الصبر على تأسيس الأسرة الوثيقة عُراها...

ثانياً: اليقين في الله ...

عزم الأمور

يقول تعالى:

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[1].

سبحان الله... !! عزم الأمور... أنك تصبر وتغفر...

وبعد ذلك... هل تصبر...؟ تقول: ماذا تقصد؟

اقصد.. ان معيّة الله للصابرين، وحب الله للصابرين،

(1) سورة: الشورى، الآية: 43.

وتبشير الله للصابرين، والإمامة في الدنيا والدين للصابرين و... ما زال أمامك فرصة... ولكن ارجوك... اصبر.

فاصبر... بالأمر

يقول تعالى:

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[1].

يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

تأمل . . . تأكيدات شديدة في القرآن للنبي ﷺ والمؤمنين على الصبر . . .

(فاصبر) (فاصبر) (فاصبر).....

هل هذا الكلام نظري ...؟ حاشا لله. بل كلام عملي جداً.

فإذا كنت تعاني من معصية (...) فقل لنفسك: اصبري.

تصريح جاء بعد تلميح: لقد اردنا ان نحببك في الصبر وجزاء الصابرين بالتلميح، ولكن اذا لم ينفع معك .. لم يبق لنا

---

(1) سورة: الأحقاف، الآية: 35. (2) سورة: آل عمران، الآية: 200.

الا التصريح... وكان امراً: اصبر، فما رأيك؟

إياك من هذا... !!

إن من الأمور غير المحببة في الإسلام، والتي لا يرضى عنها الله ، هي ضعف العزم، وضعف الصبر. فمثلاً تجد الأخت تقول:

لقد ارتديتُ الحجاب وأعلم أني بعد فترة سوف أتركه «أنا صبري ضعيف».

ولكنني لا اراكم هكذا... فإني احسبكم بخير ولا ازكي على الله احداً.

فإن صبركم بمشيئة الله قوي... وارادتكم تتزلزل دونها الجبال.

وإليك هذه الوصية...

حينما تقرأ قصة نبي من الأنبياء في القرآن الكريم أوصيك بوصية.

أوصيك بأن تتدبر السطر الأخير من القصة... وستجد فيه الخلاصة والعبرة... تجد في سورة هود في قصة سيدنا نوح في السطر الأخير من القصة...

يقول الله تعالى:

﴿فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

سبحان الله ...قصة سيدنا نوح خلاصتها هذا السطر ﴿فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يقص الله تبارك وتعالى هذه القصة على النبي ليصبر، ويعلم أن الفوز في الدنيا والآخرة للصابرين.

هل تستطيع قراءة القرآن من اليوم هكذا!... [illegible] إرادتك القوية.

واعلم أن النصر مع الصبر

هيا ارتوِ من هذا المعنى الجميل... يعلمنا الله تبارك وتعالى: أنه لا نصر للدين، ولا نصر للمسلمين إلا بالصبر، وَأَنَّ مَنْ يصبر على الحق يُنصر.

يقول تعالى في وصف لقاء طالوت وجالوت في سورة البقرة، لقاء جيشين: جيش مؤمن بقيادة طالوت، وجيش كافر بقيادة جالوت.

فيقول تعالى في نهاية القصة:

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۞ وَلَمَّا بَرَزُواْ

(1) سورة: هود، الآية: 49.

لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ * فَهَزَمُوهُم ﴾[1].

هل ارتويت من كلام الله !!!

انظر مرة أخرى الى موضع هاتين الكلمتين: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ﴿صَبْرًا﴾. واليك هذه ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

فجاءت الآية التالية مباشرة ﴿فَهَزَمُوهُم﴾.

انها علاقة قوية... علاقة وثيقة... حقاً ان النصر مع الصبر...

والله ان هذا القرآن له تأثير بالغ في القلوب ولكن...!!

اجعل دعاءك الدائم: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾...

شرط بشرط

يقول تعالى في سورة الأنفال:

﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾[2].

(1) سورة: البقرة، الآيات: 249 ـ 251.
(2) سورة: الأنفال، الآية: 65.

سبحان الله. . . !! إن كان شرطكم النصر فشرط الله الصبر.

هل تصبر عن المعاصي؟ هل تصبر على الطاعات؟ هل تصبر على المذاكرة؟

هل تصبر على بر الوالدين؟ هل أنت حريص على خلق الصبر؟ هل...؟

انك لن تشترط شرطاً الا وستجد أمامه شرطاً آخر.

ومن أوفى: أنت أم الله... !؟ حاشا لله.

وعد الله دين عليه، فهل تعدني أن تصبر... !؟

لماذا اختار النبي ﷺ هذه الكلمات... !؟

والآن. . . هيا نعيش مع أحاديث النبي ﷺ التي يتحدث فيها عن الصبر. . . يقول النبي ﷺ: «الصَّبْرُ ضِيَاءٌ»[1].

اقرأها مرة أخرى، فكّر فيها الآن، أسمعك تقول: «أنا أعرفها لقد قرأتها كثيراً». وأقول لك هذا شيء جميل ولكن لماذا اختار النبي ﷺ هذه الكلمة «ضياء» ؟.

---

(1) رواه مسلم في (الحديث: 533)، والترمذي في (الحديث: 3517)، وابن ماجه في (الحديث: 280)، والإمام أحمد في (الحديث: 5/ 342).

ماذا لو كان: «الصبر قوة» أو «الصبر برهان» أو «الصبر عزيمة».

لقد اختار النبي ﷺ هذه الكلمة: «ضياء»؛ لأن أزمات الدنيا ظلمات، منها:

فقد أم، فقد أب، فقد عضو من أعضاء الجسد... كل هذه الأشياء ظلمات تجعل الإنسان لا يرى، إنها كآبة تصل إلى حد الظلام، والمعاصي أيضا ظلمات، وما الذي يُخرج من الظلمات...؟ إنه الضياء... ولكن كيف يأتي الضياء وسط الظلمات... !؟

لقد أوتي ﷺ جوامع الكلم: «الصَّبْرُ ضِيَاءٌ»...

افهم ونفِّذ...!!

ويا له من عطاء ...!!

يقول النبي ﷺ: «مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ»(1).

هل تصدق النبي ﷺ؟ تقول: طبعاً وهل هذا

(1) رواه البخاري في (الحديث: 1469) و(الحديث: 6470)، ومسلم في (الحديث: 2421)، وأبو داود في (الحديث: 1644)، والترمذي في (الحديث: 2024)، والنسائي في (الحديث: 2587)، والإمام أحمد في (الحديث: 3/ 12).

سؤال . . . !!؟ ولكن لسان حالك يقول غير ذلك. . . تقول: «أحسن شيء عندي هي سيارتي إنها آخر موديل» . . . «عندي أملاك كذا وكذا» «أنا أعمل في المكان الفلاني» . . .

والله... اعظم عطاء... احسن شيء عندك... هو الصبر.

ان الصبر خير عطاء... ويا له من عطاء ...!!

عجباً لأمر المؤمن...!!

يقول النبي ﷺ: «عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ لَهُ وليس ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ»[1].

يا لها من كلمة... ينشرح لها الصدر، وتسعد بها النفس، ويهفو لها القلب... كلمة: «المُؤْمِنِ».

فعند النعمة تجده ساجداً شاكراً لله، وعند المصيبة تجده صابراً محتسباً موصولاً بالله ...«وليس ذلك لأحد الا للمؤمن».

والله... لن يتذوق حلاوة هذا المعنى الا الذي ذاقها وعرفها.

اراك تهز راسك... حقاً... من ذاق وعرف... ومن عرف اغترف!

(1) رواه مسلم في (الحديث: 7425).

وكأنك تقرأها لأول مرة ...!!

وإليك هذا المعنى الجميل . . .

إن من أسماء الله الحسنى اسم: «الصبور» هل فكَّرت في ذلك من قبل. . . ؟

إن لم يكن في الصبر نعمة أو شرف غير أنه من أسماء الله الحسنى لكفى. . . إننا سوف نتخلق بهذا الخلق؛ لأنه من أسماء الله الحسنى.

انه شعور يحتاج لقلب يحب الله ...

و«الصبور» أعلى مقاماً من «الصابر»، و«الصبّار».

فالصبور: هو من يكون حاله مستديم على الصبر.. ولكنه صبر لا يماثل صبر البشر .. صبر يليق بجلاله سبحانه وتعالى.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[1].

الا تستحي من الله... !!

واقرأ هذا الحديث. . . واعلم أنه إن لم تتأثر به. . . فإن في قلبك شيئاً. . . !!

---

(1) سورة: الشورى، الآية: 11.

يقول النبي ﷺ: «لا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يَسْتَمِعُهُ مِنَ اللهِ ﷻ إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ وَيُجْعَلُ لَهُ الوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِم وَيَرْزُقُهُمْ»[1].

ادعوك ان تتفكّر في هذا الحديث... وقل: سبحانك يا الله...

وانظر... مع قدرة الله على البشر... البشرية اليوم حوالي 6,5 مليار نسمة...

كم منهم عابد للّه...؟ كم منهم يذكر الله ...؟ وفي المقابل كم منهم يعصي الله... ؟

إنه في بعض ليالي من أيام السنة تكون البشرية جميعها غارقة في المعصية، إلاّ من رحم الله، ومع ذلك يصبر عليهم ويمهلهم.

اما تستحي من الله... انك لا تصبرين على حماتك لانها... وانت لا تصبر على زميلك في العمل لانه...

الم يؤثر فيكما الكلام... ؟

«اللهم ارزقنا قلباً طاهراً، نقياً، حياً، موصولاً بك».

---

(1) رواه البخاري في (الحديث: 6099) و(الحديث: 7378)، ومسلم في (الحديث: 7011) و(الحديث: 7013).

سبحانك يا الله !!

«ما من يوم إلا ويستأذن البحر ربه: يا رب ائذن لي أن أغرق ابن آدم فإنه أكل رزقك وعبد غيرك، وتقول الجبال: يا رب ائذن لي أن أطبق على ابن آدم فإنه أكل رزقك وعبد غيرك، وتقول الأرض: يا رب ائذن لي أن أبتلع ابن آدم فإنه أكل رزقك وعبد غيرك، والله تبارك وتعالى يقول: دعوهم، لو خلقتموهم لرحمتموهم.

إن الكائنات لم تتحمل. ولكن انظر إلى صبر الله... انظر كيف يتعامل معنا الله ...

هل تتصف بصفات الله أم...!! «اللهم اجعلنا من الصابرين»

وهل هذا معقول... ! ؟

يقول العلماء: «الصبر نصف الإيمان»

سبحان الله . . كيف ذلك . .؟ إذا عرف السبب. . .!!

إن الإيمان: هو فعل الطاعات وترك المعاصي.

وحياتك التي تعيشها إما نعمة تأتي لك وإما مصيبة تنزل عليك.

نعمة تأتي لك تشكر الله. . . ومصيبة تنزَّل عليك تصبر.

حقاً الصبر نصف الإيمان

فالنصف الأول: شكر والنصف الثاني: صبر.

ولذلك على المؤمن عبودية في السَّراء وهي: الشكر

وعبودية في الضَّراء، وهي الصبر.

يقول تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[1].

جمعهما الله في آية واحدة، لأن بهما يكتمل الإيمان

ما رأيك؟ تشعر بمذاق خاص أليس كذلك .. !؟

ماذا تنتظر إذا قطعت الرأس ...!؟

سبحان. . . الله وكأن الإيمان جسد رأسه الصبر، وتخيَّل لو قطعت الرأس. فإذا أردت لذة من اللذات ستفعلها. . . شهوة من الشهوات. . . أيُّ شيء سوف تفعله . . . «لقد قطع الرأس» إذاً ليس عندك صبر.

ارأيت قيمة الصبر... !! ولذلك لا ايمان لمن لا صبر له.

نعم فإذا قطعت الرأس مات الإنسان... والصبر هو الرأس...

(1) سورة: لقمان، الآية: 31.

فأين يا ترى الإيمان !!؟

«فاصبر صبراً جميلاً... عرفت فالزم..!!

بعدما عرفنا أهمية الصبر. . . ما هو الشكل المطلوب للصبر . . .؟

يقول تعالى:

﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾(1) . ويقول سيدنا يعقوب وقد فهم هذا المعنى: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾(2).

فما هو الصبر الجميل؟

وما الذي أضافته كلمة جميل إلى الصبر ؟

إن الصبر الجميل هو صبر بلا ضجر. . . بلا قلق. . . بلا ضيق. . . بلا اعتراض. . .

صبر باللسان والقلب معاً وليس كما نرى !! ترى لسانه راضياً ولكن قلبه يقول: لماذا يا رب؟.

فمن اتفق لسانه مع قلبه فهو الصابر «صبراً جميلاً».

وترى وجهه عليه علامة الرضا بلا عبوس وكأنه لم يُصَبْ بمصيبة. . .

---

(1) سورة: المعارج، الآية: 5. (2) سورة: يوسف، الآية: 18.

وهذا لا يتنافى مع تألُّم القلب ودموع العين فإننا بشر.

وهناك معنى آخر: «للصبر الجميل» وهو الصبر الإيجابي.

وأعني به مثلاً: شاب لا يستطيع الزواج فيصبر عن الحرام... ويغضّ بصره ولكنه لا يعمل... فهذا ليس صبراً جميلاً، بل هو صبر سلبي، فإن الصبر الجميل أن تصبر، وتبذل الجهد وتكون ايجابياً.

لا تجلس في بيتك وتقول: اني صابر... ولكن تحرّك واعمل واصبر... ارى كثيراً منكم عندهم صبراً جميلاً اليس كذلك!!؟

انواع الصبر

لقد انتقلنا من نقطة لأخرى... فلقد عرفنا الصبر وأهميته.

ورأينا الصبر في القرآن، والصبر في السنة الشريفة، وعرفنا اسم الله الصبور... ورأينا علاقة الصبر بالإيمان... وعرفنا ما هو الشكل المطلوب للصبر «الصبر الجميل».

هل تعلم كيف نجى الله «أصحاب الغار»؟

ما علاقة هذا بالصبر... !؟ ان أصحاب الغار الثلاثة نجّاهم الله بعدما دعا كل واحد منهم الله بالأعمال الصالحة الخالصة.

فإذا فهمت موضوع الصبر الى هنا فسوف تتزحزح الصخرة قليلاً !!

هل فهمت المطلوب !!؟

هيا الى الجزء الثاني... واصبر وكُن مُخلِصاً كأصحاب الغار !!

أنواع الصبر

1 ـ الصبر عن المعاصي.

2 ـ الصبر على الابتلاءات.

3 ـ الصبر على الطاعات.

من هو أفضلنا... !؟

تجد البعض منا عند الابتلاء صابراً جَلِداً قوياً، ولكن عند المعصية لا صبر له، وتجد البعض يصبر على طاعة الله من قيام وصيام ولكن لا يصبر عن المعصية أبداً، وهو العابد الطائع لله، ولكنه لا يستطيع مقاومة المعصية . . وهذا نموذج عجيب. . . ولكن الأعجب هو الآتي: تجده حسن الأخلاق. . . ولكن أيصلي الفجر !!!؟

ما لي أراك قد احمرَّ وجهك... اعذرني لم اقصد[1]

ولكن مَنْ هو أفضلنا . . .؟ إنه الذي تجتمع فيه هذه الصفات الثلاث:

عند المصيبة يصبر، وعلى الطاعات يصبر، وعن المعاصي يجتنبها، ويصبر.

وهكذا يكون قد استكمل الصبر. . . قد استكمل نصف الإيمان.

أيُّ منزلة هذه. . . هل عرفت من هو أفضلنا . . !؟

سؤال وجواب

أيهما أفضل...!؟

وإليك هذه الأسئلة اللطيفة، ولكن إياك أن تكون كالطالب الذي يختلس النظرات نحو الإجابة قبل أن يفكّر في السؤال. . .!!

س1: أيهما أفضل. . . الصبر على الابتلاء، أم الصبر على الطاعات، وعن المعاصي؟

فكِّر في السؤال وحاول الإجابة. . .

جـ1: الصبر على الطاعات وعن المعاصي أفضل. . . كيف ذلك !؟ إن الصبر على الابتلاء عظيم. . . إن الابتلاءات

تكون شديدة جداً . . !! ولكن الصبر على الابتلاءات صبري اضطراري أما الصبر على الطاعات، وعن المعاصي فهو صبر اختياري .

ملحوظة: الطالب الذي تفوّق آخر العام هو الطالب الذي كان أثناء الدراسة وفي المراجعة... يجيب على الأسئلة بمفرده ثم يتأكد بالنظر الى الإجابة.

أيهما أكمل...!؟

وإليك هذا السؤال السهل، فهو سؤال تطبيقي . . .

س2: أيهما أكمل: صبر يوسف ﷺ في محنة السجن، وامرأة العزيز، أم صبر أيوب المبتلى في جسده وماله وولده؟

ج2: صبر يوسف طبعاً؛ لأن سيدنا يوسف دخل السجن بإرادته .

أرى هذا السؤال قد أعطاك دفعة معنوية، فإجابتك سليمة .

ولكنني أخشى أن تكون قد غافلتني ونظرت الى الإجابة قبل أن تفكر بمفردك !

أيهما أفضل وأكمل ...!؟

وهذا أيضاً سؤال سهل، فهو سؤال تطبيقي أيضاً .

س3: أيهما أفضل وأكمل: صبر يوسف ﷺ فى فتنة البئر أم صبره فى فتنة السجن؟

ج3: صبره في فتنة السجن... بالرغم من أن السجن به أناس، ولكنه دخل بإرادته... أما البئر فكان رغماً عنه وإن كان قد عُذِّب في البئر، وتألَّم ألماً شديداً، ولكن مقامه في السجن أعلى من مقامه في البئر فلقد أبى المعصية ودخل السجن وصبر.

لقد اثبتّ هذه المرة وبجدارة انك تلميذ نجيب...!!

أيهما أعلى مقاماً...!؟

لقد علمنا أن الصبر على الطاعات، وعن المعاصي أعلى مقاماً من الصبر على المصائب.

أنت تعلم أن في الامتحان تكون هناك أسئلة للطالب (...) وأخرى للطالب (...) وأخرى للطالب (...) والآن إليك هذا السؤال...

س4: أيهما أعلى مقاماً... الصبر على الطاعات أم الصبر عن المعاصي؟

فكِّر في هذا السؤال جيداً وحاول الإجابة...

وبعد إجابتك... لا تفقد ثقتك في نفسك فلقد اختلف فيها العلماء...

جـ4: اختلف العلماء في هذا وكانت لهم آراء كثيرة، ولكنهم وصلوا في النهاية لمعنى لطيف ألا وهو أن الصبر على الطاعات أعلى مقاماً من الصبر عن المعاصي.

أن تصبر على طاعة الله وتستديم عليها، أعلى مقاماً من الصبر عن المعاصي، لماذا...!؟

انتبه معي: هذه ليست دعوة للمعصية... ولكن انهم المراد...!!

1 ـ لقد خلقنا الله لعبادته ومعرفته سبحانه، فهذا سبب وجودنا، وتتحقق عبادة الله ومعرفته بالطاعات.

2 ـ إن الله جعل الحسنة بعشر أمثالها أما السيئة فبمثلها.. إذاً الأحب إلى الله الحسنة.

3 ـ لو تساوت طاعات الإنسان ومعاصيه يوم القيامة فإلى أين يذهب؟ نحن لا نعدل على الله ولكنه يقول: «سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي»[1].

كانت هذه هي الأسباب التي خلص إليها العلماء للمفاضلة بين الصبر على الطاعات والصبر عن المعاصي.

---

(1) رواه البخاري في (الحديث: 3194)، ومسلم في (الحديث: 6903)، والإمام أحمد في (الحديث: 2/ 397).

وإليك الترتيب الصحيح ...

1 ـ الصبر على الطاعات.

2 ـ الصبر عن المعاصي.

3 ـ الصبر على الابتلاءات.

أراك قد قلبت الصفحات لتنظر الى الترتيب السابق.

هنيئاً لك هذا الاستيقاظ، انها والله لمن ثمرات الصبر.

هناك من يقلب الصفحات الآن... لقد انتبه... !!

إن المقربين لهم درجات عظيمة... ولكن السابقون هيهات هيهات!

وسنبدأ أولاً بالصبر على الابتلاءات، ثم نثني بالصبر عن المعاصي، ونختم بالصبر على الطاعات.

النوع الأول: الصبر على الابتلاءات

الصبر على «الموت»

إن الصبر على الابتلاءات له أمثلة كثيرة، فالابتلاءات متعددة.

الكل مثلاً يمر بمصيبة الموت، وهناك الأمراض التي لا

أول لها ولا آخر. وهناك الفقر... وهناك فشل الأولاد في المدارس... وهناك المشاكل الزوجية.

فالموت والأمراض والفقر والفشل والمشاكل الزوجية و... كل هذه ابتلاءات كثيرة، وسوف نتعرض لبعضها، ولنبدأ بالصبر على الموت: أليست هذه أشد الابتلاءات خاصة عند المرأة، فإنها تتألم على فقد الأحباب أكثر من الرجل.

تذكر.. اننا في المرحلة الثانية... حتى تتزحزح الصخرة.. فهيا اجمع ذهنك ولا تشتت فكرك واستقبل هذا الفيض...!!

كان لها حجاب من النار

قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال يا رسول ﷺ فاجعل لنا يوماً من نفسك، فقال النبي ﷺ: «نعم». فجاء إليهن فوعظهن وكلمهن فكان مما قال: **«مَا مِنْكُنَّ مِن امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلاثَةً** (أي يموت لها ثلاثة أولاد في حياتها) **إِلاَّ كَانُوا لَهَا حِجَاباً مِنَ النَّارِ»**. فقالت امرأة: واثنين يا رسول الله قال: **«وَاثْنَيْنِ»**[1].

(1) رواه البخاري في (الحديث: 101) و(الحديث: 102) و(الحديث: 1249) و(الحديث: 7310)، ومسلم في (الحديث: 6642)، والإمام أحمد في (الحديث: 1/ 422) و(الحديث: 3/ 34)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (الحديث: 4/ 67).

سبحان الله! مَن مات لها ثلاثة أو اثنان من أولادها وهي ما زالت حية... كان هذا جزاؤها... حجاب بينها وبين النار... أسمعك تقولين: من كانت يداه في الماء ليس كمن كانت يداه في النار... نعم كلامك صحيح ولكن... أيكون هذا هو الجزاء ولا تصبري ...!؟

بيت الحمد لك أيها الصابر

وهذا حديث للآباء والأمهات... يقول النبي ﷺ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ، قَالَ الله لِمَلائِكَتِهِ: أَقَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي! فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَة فُؤَادِهِ! فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُول: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ. فيقول الله ﷻ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتاً في الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ»[1].

اقرأ هذا الجملة مرة أخرى: «قَبَضْتُمْ ثَمَرَة فُؤَادِهِ» وانظر إلى رقة الكلام وتأمل، أين موضعها...؟ إنها في المصيبة، فأيُّ دلالة هذه.

فعند موت الابن إذا حمدت الله واسترجعت أي قلت: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[2] فهنيئاً لك بيت الحمد.

---

(1) رواه الترمذي في (الحديث: 1021).

(2) سورة: البقرة، الآية: 156.

يظن البعض انها مشاعر متضاربة... ولكن لا يكون هذا الا للمؤمن الصابر.

لمن الجنة...!؟

وإليك هذا الحديث... ونحن جميعاً مخاطَبون به...

يقول النبي ﷺ: «مَا لِعَبْدِي الْمُؤمن عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّه مِنْ أَهْلِ الدُّنيا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إلاّ الجَنَّة»[1].

تامل كلمة: (صفي) جاءت نكرة لتفيد العموم والشمول.

فاي انسان احببته في الدنيا سواء كان اخاً، اختاً، اباً، اماً، قريباً، صديقاً، استاذاً، ومات ثم احتسبته عند الله وصبرت فلك الجنة. «اللهم اجعلنا من الصابرين».

ان صبرك على موت من تحب سيدخلك الجنة فهل تصبر ام لا؟

يابى القلم كتابتها...!!

بمراجعة هذه الأحاديث الثلاثة سريعاً تجد أن من يصبر على فقد أعز الناس لديه له: «الجنة، بيت الحمد، حجاب من النار». هذا ثواب الصبر.

---

(1) رواه الدارمي في (الحديث: 2/ 27).

إن لسان حال قلبي يقول: يا لسعادة من مات له ابن أو أخ أو صديق أو. . . فإنه سيأخذ بيده ويدخل معه الجنة.

اسمعكم تقولون: (كفى الله الشر) ..(ابعده عنا)...!!

انا لا اقصد... ولذلك ابى القلم كتابتها...

ولكن حساسية قلب المؤمن قد فهمت المقصود.

عند المرض...

ننتقل إلى ابتلاء آخر وهو ابتلاء المرض. . . فمن الناس من يعاني من الفشل الكلوي، ومنهم من يعاني من أمراض صدرية أو نفسية أو غير ذلك من أمراض. . . عافاكم الله.

ان المرض ابتلاء شديد يحتاج لصبر جميل اليس كذلك !؟

واليك هذا الحديث... ولكني اوصيك قبل القراءة أن تجدّد نيتك.

ثم تجدّد ايمانك... وحاول ان تصنع لنفسك جواً ايمانياً....

والآن هيا...

بما نالت هذه المنزلة ...!!؟

عن عطاء بن رباح يقول: قال لي ابن عباس: أتحب أن

أريك امرأة من أهل الجنة. قلت: نعم، قال: تلك المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت له: يا رسول الله إني أُصرع، وأني أتكشف، فادع الله لي يا رسول الله، فقال لها النبي ﷺ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ الله أَنْ يُعَافِيكِ» قالت المرأة: أصبر. قالت: فإني أتكشف، فادع الله ألا أتكشف، فدعا النبي لها فكانت تصرع ولا تتكشف[1].

انظر الى هذه الكلمات: «المرأة السوداء»، «إن شئت صبرت»، «أصبر» وفكّر فيها... اظنك تقول: لقد خسرنا كثيراً اننا لم نعش تلك الايام... نتخيّل لو قال النبي: «إنك من أهل الجنة» ماذا يكون الشعور؟... انها اشارة لطيفة منك... ولكن فكّر في الكلمات... وانظر الى المرأة ماذا كان جوابها حينما علمت أن الصبر يقابله الجنة.

وان كنت مكانها فماذا يكون جوابك ...!!؟ افكّر ولا تتسرع...!!).

وانظري ايتها الاخت الفاضلة... الى حياء تلك المرأة.

انها تتكشف عند الصرع... فما بالك بمن تتكشف بإرادتها...!

(1) رواه البخاري في (الحديث: 5652) و(الحديث: 5652) تعليقاً، ومسلم في (الحديث: 6516)، والإمام أحمد في (الحديث: 1/ 347).

انها والله دروس مستفادة من تلك المرأة السوداء...

وكان الصبر اعظم درساً.

إليك يا من فقدت حبيبتيك ...!!

يقول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه - أي عينيه - فصبر، عوضته منهما الجنة»[(1)]. ما رأيك في هذا الوصف: حبيبتيه.

انهما احب الاعضاء الى الإنسان، واليك هذا الإحساس الإيماني: تشعر انه ابتلاء في قالب من الرحمة - نعم انه ابتلاء ولكن به سترحم -.

ولكن اين من يصبر...!؟

تخيَّل .. الحُمَّى تُكفِّر الخطايا !!

عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب! فقال: «مَالَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ! تُزَفْزِفِينَ» فقالت: الحُمَّى لا بارك الله فيها، فقال: «لاَ تَسُبِّي الحُمَّى فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الكيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ»[(2)].

---

(1) رواه البخاري في (الحديث: 5653) والترمذي في 0الحديث: 2401)، والإمام أحمد في (الحديث: 3/ 12).

(2) رواه مسلم في (الحديث: 6515).

أشعر بك الآن... لقد تغيّرت نظرتك للمرض...

ولك الحق في ذلك ...

نبضة قلب: بعد قراءتك لهذا الحديث واستشعارك معانيه وإحساسك به... ستجد نفسك عند المرض تتألم وتبكي من شدة المرض، ولكن بداخلك معنى اللذة، لأن الصبر له لذة، واستشعار الثواب له لذة أكبر وأكبر.. إن الألم يعصرك، وأنت تتلذذ بالثواب ومغفرة الذنوب... هل شعرت بهذا الكلام من قبل ...!؟

يقولون إن النائحة الثكلى ليست كالنائحة المستأجرة...!!!

ما تأثير كلمة ابن مسعود عليك ...!؟

يقول ابن مسعود كلمة شهيرة: يقول: «إن الحسنات لا تكتب بالمصائب».

يقولون: فاغتممنا. . . (هل هذا هو شعورك الآن؟) فكانوا يعتقدون أن الحسنات تزيد بالمصائب. فقال ابن مسعود: «إنما هي تكفر السيئات» يقولون: فسعدنا. . .

(والآن... ما شعورك ...؟)

نتخيّل ذلك... إن المصائب التي تنزل على الإنسان من موت أو مرض أو مشاكل... تكفّر السيئات وليس هذا إلا للمؤمن الصابر.

كلمة من القلب

يقول يزيد بن ميسرة وهو أحد التابعين كلمة جميلة جداً يقول: «إن العبد ليمرض المرض وما له عند الله خير قط، فيلقى الله تبارك وتعالى في قلبه يناديه، وهو يتألم أن عُد إليّ عبدي، وربما دمعت عينه رجاء رحمة الله ﷻ فيخرج من مرضه طاهراً من الذنب».

حقاً ان ما خرج من القلب لا يصل الا الى القلب، وانها لكلمات لم تصل فقط الى القلب ولكنها من حلاوتها وصدقها بكت لها العين وصفت لها النفس.

وصية: عليك بفهم هذه الكلمة ثم حفظها وتبليغها الى كل من تلقاه... واجعلها تخرج من قلبك...

رسول الله يهوّن عليك ...!!

أصيب النبي ﷺ أثناء إحدى المعارك وكان جرحاً غائراً في إصبعه ﷺ فنظر إلى إصبعه وقال: **«هَلْ أَنْتِ إِلاَّ إِصْبَعٌ دَمِيتِ وَفِي سَبِيلِ الله مَا لَقِيتِ»**[1].

(1) رواه البخاري في (الحديث: 2802) و(الحديث: 6146)، ومسلم في (الحديث: 4630)، والترمذي في (الحديث: 3345)، والإمام أحمد في (الحديث: 4/ 313).

سبحان الله !! إن رؤية الدم وهو ينزف من الإنسان حينما يُجرح بجمله يحزن ويضطرب... ولكن انظر إلى النبي ﷺ . . . كيف يُهوّن عليك.

ولذلك كان من دعاء النبي ﷺ للمريض: «لا بأس طهور إن شاء الله»[1].

فهذه من السُّنة عند زيارة المريض أن تقول له ذلك، فمرضه مطهرة للذنوب.

«ليقم أهل الفضل»...!!

ومن ألوان الصبر على الابتلاءات. . . الصبر على أذى الناس. . . الصبر على الجارة التي تؤذي بلسانها، الصبر على الحماة إن كانت صعبة التعامل. . . الصبر على الزوج. . . اصبر وتحمّل. . . تحمّل كلمة شديدة من أبيك. . . فهل تستطيع أن تتحمل الأذى بشتى أنواعه وتصبر عليه وخاصة إن كان ممن يكرهك، أو يعاديك. . . يقول النبي ﷺ: «**إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد: ليقم أهل الفضل، فيقومون وهم قليل، فيسيرون سراعاً إلى الجنة، فتستوقفهم الملائكة فتقول لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الفضل، فيقولون لهم: وما فضلكم؟ قالوا: كنا إذا ظُلمنا صبرنا، وإذا أسيء إلينا**

---

(1) رواه البخاري في (الحديث: 5656).

غفرنا، وإذا جهل علينا حلمنا فتقول لهم الملائكة: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين».

ما رأيك الآن... تصبر أم ترد الإيذاء بإيذاء ...

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[1].

رحم الله أخي موسى...!!

عن ابن مسعود ﷺ قال: لما كان يوم حنين، آثر رسول الله ﷺ ناساً في القسمة، فأعطى ناساً من أشراف العرب وآثرهم يومئذ في القسمة، فقال رجل: والله إن هذه قسمة ما عُدل فيها وما أريد فيها وجه الله، فقلت: والله لأخبرنّ رسول الله، فأتيته فأخبرته بما قال، فتغيّر وجهه حتى كان كالصرف *(تخيل لو حصل معك ذلك.. وظُلمت واتهمت وغلى الدم في جسمك حتى تغيّر وجهك.. فما سيكون جوابك.. اسمع وتعلَّم!) ثم قال:* «فَمَنْ يَعدُل إِذَا لَمْ يَعْدِلِ الله وَرَسُولُهُ؟ ثم قال: «يَرْحَمُ الله مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» فقلت: لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثاً[2].

فإذا أردتم أن تتعلموا الصبر... فاقتدوا بالنبي ﷺ.

---

(1) سورة: الشورى، الآية: 43.

(2) رواه البخاري في (الحديث: 4337)، ومسلم في (الحديث: 2444).

وإذا أردتم أن تتعلموا الصبر على إيذاء الناس فافهموا هذه الآية:

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾[1].

إجمال بعد تفصيل...!!

وبعد أن فصَّلنا الصبر على الابتلاءات من موت ومرض وإيذاء... إليك هذا الإجمال.. الصبر على كل شيء يصيبك... يقول النبي ﷺ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلا وَصَبٍ وَلا هَمٍّ وَلا حَزَنٍ وَلا أَذًى وَلا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاه**»[2].

وعند شرح هذا الحديث... «النصب» أيّ: التعب، فمثلاً تعبت بعد مباراة كرة قدم فهذا التعب تكفير لذنوبك (طبعاً بشرط أن تكون نيتك لله فتمارس الرياضة بنية التريّض وأن يصبح جسمك سليماً قوياً) «**والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير**» «وصب» أي: مرض، و«هم» أي: ضيق.

---

(1) سورة: الفرقان، الآية: 20.

(2) رواه البخاري في (الحديث: 5641) و(الحديث: 5642)، ومسلم في (الحديث: 6512) و(الحديث: 6513)، والترمذي في (الحديث: 966)، والإمام أحمد في (الحديث: 3/ 180).

وهنا «نصب» و «وصب»: [إيذاء بدني]، «هم» «وحزن»: [إيذاء نفسي]

«وأذى» من الآخرين. . . «وغم» [تشمل كل ذلك]. . . هل بعد ذلك أذى؟

حتى الشوكة الصغيرة يشاكها. . . إلا كفر الله بها من خطاياه وذنوبه. . .

أراك الآن تقول: لقد فهمت خطأ أشياء كثيرة في الماضي.

وآن الأوان أن أفهمها على الوجه الصحيح...

ولكني أذكرك... «وليس هذا إلا للمؤمن».

هيا جدد إيمانك... فإني أحسبك من المؤمنين.

لقد أسمعت إن ناديت حياً ولكن ...!!

أراك قد اندهشت من هذا العنوان. . . ولكني لا أقصد حياة الأجساد، بل أقصد حياة القلوب. . . إن من لم يتأثر بكل ما سبق، ولم يفهمه. . . ولم يعزم عزماً أكيداً على الصبر. . . ماذا أقول له. . . !؟

ولكني لا أقصدك أنت . . . فإني أرى في عينيك بريق

الإصرار على تطبيق الصبر وفي مقابل هذا الإصرار... أقدم لك هذه الهدية ...

يقول النبي ﷺ: «لا يزال البلاء بالمؤمن أو المؤمنة في جسده وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة»[1].

ما رأيك في هذه الهدية... هل تريد أن ترد الهدية بأحسن منها ...؟

تقول: نعم.

وأقول لك: فعليك بالصبر... حتى تلقى الله وما عليك خطيئة.

اللهم لا تجعلنا منهم...!!

أراك متشوقاً لتعرفَ من هؤلاء... إنهم أعداء الله، إنهم أُناس قد غضب الله عليهم فلا يبتليهم؛ بل يُنْعم عليهم ويكثر لهم في الإنعام حتى إذا أخذهم لم يفلتهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[2].

إياك أن تفهم خطأ وتقول: «اللهم ابتلينا» بل سل الله العافية في دينك ودنياك.

---

(1) رواه الحاكم في «المستدرك» (الحديث: 1/ 346)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (الحديث: 3/ 374).

(2) سورة: الأنعام، الآية: 44.

من أشد الناس بلاء ...!؟

سئل النبي ﷺ: أيّ الناس أشد بلاء؟ فقال ﷺ: «أَشَدُّ النَّاس بَلاءً الأَنْبِيَاء، ثُمَّ الأَمْثَل فَالأَمْثل، فَيُبْتَلَى الرّجل عَلَى قَدْر دِينه، فَإِنْ كَانَ دِينُه صَلْباً زِيدَ في ابْتِلائِهِ، وَإِنْ كَانَ في دِينِه رِقَّة يُبْتَلَى عَلَى قَدْرِ دينه»[1].

لست وحدك من ابتلي... لقد ابتلي الأنبياء وكانوا أشد الناس بلاءً وصبروا... واقرأ هذه الجملة مرة أخرى «يُبتلى الرجل على قدر دينه»... أظنك من الآن سترضى بقضاء الله وسوف تصبر صبراً جميلاً.

ما الحكمة من الابتلاء...!؟

يسأل البعض . . لماذا يبتلينا الله؟ وما الحكمة من الابتلاء؟

وأدعوك قبل معرفة الحكمة من الابتلاء أن تفهم هذه الكلمات . . .

كان من قوة إيمان بعض الصحابة أنه لو كشف له الحجب ما زاد ذلك من يقينه شيئاً .. فهل أنت محتاج لمعرفة الحكمة من الابتلاء لزيادة المعرفة أم أنك قد وصلت ...!!

«وكل لبيب بالإشارة يفهم».

(1) رواه الترمذي في (الحديث: 2398)، وابن ماجه في (الحديث: 4023).

أولاً: رفع الدرجات.

إن الله يبتلينا ليرفع درجاتنا . . . «فإن كان دينه صلباً زيد في ابتلائه»

وتخيَّلوا معي إذا لقينا الله يوم القيامة بلا مصائب وابتلاءات سنكون مفلسين. . . إياكم أن تظنوا أن حسناتنا تكفي لدخولنا الجنة . . . !!!

انما تاتي المصيبة تنغص عليك اسبوعاً... تنغص عليك شهراً.

واحياناً تصل الى سنة واثنين... فاعلم ان لك منزلة كبيرة في الجنة. ولتصل الى هذه الدرجة فلا بد من هذه المصيبة وهذا الابتلاء.

ثانياً: التمييز في الدرجات.

ومن حكمة الله في الابتلاء أيضاً. . . التمييز في الدرجات.

يقول تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].

---

(1) سورة: آل عمران، الآية: 142.

ويقول أيضاً: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾[1].

ويالها من حكمة... ليتميز الناس ويتميز أصحاب الفضل عن المُنكّسة رؤوسهم.

ثالثاً: حتى لا تصاب بالكبر والغرور

وهي من الحكم العظيمة، فتخيَّل لو استمرت الأمور مستقرة وحياتنا هادئة، فماذا يحدث للإنسان هنا...؟ إنك تعرف نفسك أكثر من أيِّ إنسان !!

ستصاب بالكِبر والغرور... أليس كذلك؟ فالحياة مستقرة ليس بها ما يُعَكِّرها... نعيم وسعادة ومنافع (وهذا ما يحدث لأهل الباطل).

وهنا يصاب الإنسان بالكبر والغرور والتعالي على الله وعدم الاحتياج له... ولذلك يبتلينا الله، فنرجع اليه ونتذلّل له ونحتاج اليه... فرحمة بنا يبتلينا.

يا لها من معاني... تستشعرها القلوب المرهفة...!!

رابعاً: حتى تشتاق الى الجنة

ومن الحكم أيضاً... أنك لن تشتاق إلى الجنة إلا إذا

(1) سورة: آل عمران، الآية: 179.

ذقت مرارة الدنيا !!

فكيف تشتاق إلى الجنة وأنت ترى الدنيا مريحة. . . جميلة . . .

وهنا ليس معناه أن تكره الدنيا... «لا بل ابذل الجهد وعمِّر وشيِّد...»

ولكنك تشتاق الى الجنة... فيُذيقك الله مرارة الدنيا لتتمنَّى حلاوة الجنة.

خامساً: حتى لا تنس الله

ومن الحكم أيضاً. . . أن المصائب والابتلاءات تذكِّرك بالله صاحب النِعَم. . . فتكون المصيبة سبب في أن تشكر الله على نعمته عليك وأن ترضى بقضائه.

وهكذا لا تنساه أبداً...

سادساً: لتعلم ان الله هو القوي

ومن حكم الله في الابتلاء . . أنه يبتليك لتظهر قوة الله ﷻ، وتنجلي صفة القوة وصفة الرحمة. . . أن نجاك من الابتلاء.

---

(1) رواه الترمذي في (الحديث: 2396)، و ابن ماجه في (الحديث: 4031).

ان الله يبتليك فتلجأ اليه فيأخذ بيدك فتعلم أن الله قادر... ان الله قوي .. ان الله رحيم...

سابعاً: لأن الله يحبك

يقول النبي ﷺ: «**وإنَّ الله إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلاهُمْ**»[1].

فمن حكم الله في الابتلاء... أنه يحبك أيها العبد المؤمن... الطاهر... النقي... التقي... الخفي.

حقاً... ختامها مسك.

نماذج الصابرين

يا صبر ايوب

عاش النبي أيوب ﷺ 80 سنة... ورزق خلالها بأربعة عشر ولداً وبنتاً... كان موفور الصحة... يحبه كل الناس... ثم يشاء الله بعد كل هذا النعيم أن يموت أولاده جميعاً... ويصاب بمرض شديد، حتى أنه أقعد وأصبح لا يستطيع الحركة، وبدأت أعضاء جسده تتساقط، فخافه الناس وهربوا منه.. يا الله !! أيّ ابتلاء هذا... لا حول ولا قوة إلا بالله، فلم يبقَ معه إلا زوجته الوفية الصابرة *(تعلمي من زوجة سيدنا أيوب فهناك من النساء حينما تتغير حالة زوجها وتتبدل، تجدها تتركه ولا تصبر)*، واستمر حال سيدنا أيوب 18 سنة *كيف ذلك؟ من يصبر على هذا الحال !؟* حتى أنفقت زوجته

ماله كله فما بقي في بيت النبي ﷺ شيء يؤكل، فخرجت زوجته تعمل عند الناس.

زوجة النبي تعمل عند الناس كي تأتي بلقمة العيش لزوجها المقعد...

واستمر الحال على ذلك فقالت: ألا تدعو الله أن يشفيك، فقال سيدنا أيوب: لقد أنعم الله عليَّ ثمانين عاماً فلأصبرن ثمانين عاماً ثم أدعوه!! وصبر سيدنا أيوب إلى أن اضطرت زوجته أن تبيع ضفائرها ...!! فعلم سيدنا أيوب أنها باعت ضفائرها فدعا الله...

فهل قال: صبرت يا رب ثمانية عشر سنة؟ هل قال: لماذا كل هذا يا رب؟ قال ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[1].

وكانت الإجابة: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾[2] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾[3] تقول الروايات: إنه شُفي ورزق ثمانية وعشرين ولداً ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ وبارك الله له في ماله ورُدَّت إليه صحته.

سبحان الله !! مثلٌ عجيب في الصبر.. ولذلك بعد

---

(1) سورة: الأنبياء، الآية: 82.
(2) سورة: الأنبياء، الآية: 88.
(3) سورة: الأنبياء، الآية: 84.

آلاف السنين يضرب المثل بسيدنا أيوب في الصبر.. ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[1].

تعلم الصبر من سيدنا أيوب... وإياك أن تظن أن هدف القصة هي مص الشفاه والإحساس النظري...

الا تصبر على موت انسان عزيز؟... الا تصبرين على مصيبة؟...

الا تصبر على ما أصاب سيارتك؟... هوّن عليك فأين ذلك من مصائب أيوب عليه السلام؟.

وأين صبرك من صبره ؟

أين أنت من يوسف عليه السلام. . . !؟

وإليك هذا النموذج، وانظر إلى كمّ الابتلاءات التي تعرض لها سيدنا يوسف عليه السلام. . . من فقدٍ لأهله وفقدٍ لوطنه وغربة عشرين سنة، وكراهية إخوته، ومحنة البئر، ومحنة الرق، فأصبح عبداً بعد أن كان الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم، وفتنة المرأة، ومحنة السجن تسع سنوات، وأخيراً فتنة المال، والمكانة الاجتماعية.

ان كل ابتلاء من هذه الابتلاءات يكفي لتدمير أيّ

(1) سورة: صّ، الآية: 44.

انسان، وخاصة فتنة البئر، وكيف صورها القرآن «غيابة الجب».

ثم تاتي فتنة المراة وكيف انها هي التي راودته عن نفسه...

ومع ذلك صبر سيدنا يوسف امام كل هذه الابتلاءات ونجّاه الله.

كم فتنة مرت بك وصبرت كما صبر سيدنا يوسف ؟

ما أحبّه الله احببته ...!!

وإليك هذا النموذج لصحابي من صحابة النبي ﷺ . . . لانني حينما سالتك عن صبرك على الفتن كما صبر سيدنا يوسف... كانت اجابتك طبعاً: سيدنا يوسف نبي وانا انسان عادي(!)

وهذا الصحابي . . . هو عمران بن حصين أصابه مرض شديد حتى أقعده (لا يتحرك). . . وظل هكذا أعواماً طويلة. . . ويدخل عليه الناس يعودونه وهو مقعد فيبكون لهذه الحالة، فينظر إليهم ويقول كلمة رائعة: «ما أحبه الله أحببته»

ما رايك في هذا النموذج؟... اسمعك تقول: انه صحابي ولكن أنا انسان عادي ولست صحابياً...!!

حلاوة الثواب أفقدتني مرارة الألم... !!

قرأت قصة سيدنا يوسف ورأيت حجم الابتلاءات فقلت: إنه نبي !!

وقلت عن سيدنا عمران بن الحصين. . . إنه صحابي

معذرة. . . لم يعد ينفع معك إلا هذا النموذج. . .

قطعت يد امرأة . . .!! *(يا الله !! تخيل الألم الشديد)*

فلما قُطعت يدها ضحكت !! فقالوا لها: أما تجِدِين الألم؟

فقالت: حلاوة الثواب أفقدتني مرارة الألم. . .

ما تقولك الآن... انها امرأة !!!

أيُّ صبر هذا... !؟

ومن نماذج المبتلين: أم سليم وزوجها ﵄ رزقهما الله بولد وأصيب بمرض شديد، وكان لهذا الولد في قلب أبيه وأمه معزة كبيرة، ومات الولد ليلاً فلم تُرِد أمه المرأة المؤمنة الصابرة أن تُحزن زوجها فتحملت الألم وحدها، وجاء زوجها فقال: ما حال الغلام؟ فقالت: لقد سكن *(نهمها الأب أن ابنه نام*

وهي تقصد أنه استراح) فقال: الحمد لله.

فقامت وتزينت له كأجمل ما تكون وقضى معها ليلته... فلما كان في الصباح قالت له: أرأيت إن كان لجيراننا عندنا وديعة أنردها إليهم؟

قال: نعم، قالت: أفرأيت إن طال الزمن، قال: فذلك أحقّ أن تؤدى، قالت: فاحتسب ابنك فإن الله استرد وديعته.

أيُّ صبر هذا، هل تستطيع أن تصبر هكذا... ؟

هل تستطيعين أن تصبري هكذا... ؟

حاول .. حاولي... والله معكما...

شروط الصبر على المصائب والابتلاءات

الشرط الأول: إنما الصبر عند الصدمة الأولى

وهذا هو أول شرط للصبر على المصائب .. تصبر بمجرد معرفتك للخبر، لحظة معرفتك بالمصيبة تصبر...

فبينما كان النبي ﷺ عند المقابر فإذا امرأة تبكي عند قبر وتنوح ... فقال لها النبي ﷺ : « يا أمة الله اتقي الله واصبري »، فقالت : إليك عني فإنّك لم تُصَبْ بمصيبتي لم تكن تعرف رسول الله ، فقيل لها إنّه النبيُّ ﷺ ، فَأَتَتْ بابَ النبيِّ ﷺ

فقالت: لَمْ أعرِفْكَ! فقال ﷺ: «إِنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»(1).

فإذا أردتم أن تأخذوا الثواب كاملاً فاصبروا عند الصدمة الأولى... عند معرفتكم بالمصيبة اصبروا.

اعلم أن المصائب كالجبال على القلوب... وليست كلمة الصبر بالكلمة السهلة... الهينة... ولكن لا تنسوا...

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(2).

الشرط الثاني: احفظوا هذا الدعاء... !!

والشرط الثاني من شروط الصبر على المصائب والابتلاءات أنه إذا جاءتك المصيبة فقل: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(3). «اللَّهُمَّ! أجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْنِي خَيْراً مِنْهَا»(4).

احفظ هذا الدعاء... ولا تظن أنه لا يقال إلا في مصيبة الموت بل في أي مصيبة ...

(1) رواه البخاري في (الحديث: 1252) مختصراً و(الحديث: 1283) و(الحديث: 1302)، ومسلم في (الحديث: 2136)، وأبو داود في (الحديث: 3124)، والترمذي في (الحديث: 988) مختصراً، والنسائي في (الحديث: 1868) والإمام أحمد في (الحديث: 3/ 130).

(2) سورة: الزمر، الآية: 10.

(3) سورة: البقرة: 156.

(4) رواه مسلم في (الحديث: 2124)، والترمذي في (الحديث: 3511)، وابن ماجه في (الحديث: 1598) بنحوه، والإمام أحمد في (الحديث: 4/ 27).

واعلم أن الله تعالى سيخلفك خيراً منها... الا تصدق ذلك... !؟ اليك هذه القصة.

دعاء... له وقع السحر !!

هل تعرف مَن هو زوج أم سلمة . . !؟

إنه الصحابي الشهيد البدري (أي الذي شارك في غزوة بدر) سيدنا أبو سلمة . . . ونحن نعلم أن من شارك في غزوة بدر لهم شرف كبير، فقد غفر الله لهم . . . كما قال النبي ﷺ: **«لَعَلَّ الله اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»**[1] . . . فلما استشهد أبو سلمة قالت أم سلمة الدعاء: «إنا لله وإنا إليه راجعون . . . اللهم اجرني في مصيبتي واخلفني خيراً منها».

فجلست تفكّر . . وقالت: مَنْ خير مِنْ أبي سلمة . . . إنه صحابي وشهد بدراً ومات شهيداً ؟ فكان النبى ﷺ خير من أبى سلمة فهو الذى تزوجها .

أراك الآن حريصاً على حفظ الدعاء ...

احرص عليه وسترى العجب... ولكن هناك شرطان...

---

(1) رواه أبو داود في (الحديث: 4654)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (الحديث: 9/ 146).

أتدري ما هما؟... !! نعم.

١ . الصبر على المصيبة

٢ . اليقين في إجابة الدعاء.

الشرط الثالث: الصبر الجميل

والشرط الأخير للصبر على المصائب أن يكون صبراً بلا شكوى وبلا ضجر. . . أتشكو الله للبشر؟ ألا ترضى بقضاء الله؟

ولكن لو كنت تقول لإنسان بنية الإخبار. . . كمن أصيب بمرض، فيخبر طبيباً مثلاً. . . أو عنده مصيبة كبيرة. . . فيحكي لصديقه من باب أخذ المشورة. . . هذا نتركه لنيته. . .

إياك أن تشكو الله... وإياك ألا ترضى بقضائه.

ولكن اصبر صبراً جميلاً... وكن راضياً.

تطبيقات عملية

مشكلة ظهرت في هذه الأيام... وهذا علاجها

إن بيوتنا تفتقد الكثير من السعادة الزوجية الحقيقية. . . وهذه نصيحة خاصة للأزواج . . يقول النبي ﷺ: «**لا يَفْرُكْ**

مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً - يقصد زوجته - إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»[1].

إنه معنى جميل حقاً... فليس كل ما في زوجته سيىء...

هناك ما هو سيىء وهناك ما هو حسن... فإياك أن تبغضها لبعض الأخلاق التي لا تعجبك.

الحقيقة .. انها قضية منتشرة في المجتمع الآن... فهناك بعض الأزواج يقول: اريد ترك زوجتي لاتزوج من اخرى... أو لا استطيع العيش مع زوجتي... وحينما تسأله: وماذا فعلت زوجتك؟ يقول: لا شيء... لكنني لا اريدها... اريد الزواج مرة اخرى... !! ففي زوجتي اشياء تضايقني... بعض الشباب الذي لم يتزوج لا يشعر بهذه القضية... ولكنها قضية موجودة بالفعل...

واني اقول لهذا الزوج وامثاله ...﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2].

نصيحة للأزواج... اصبروا على زوجاتكم... وانظر الى ما يعجبك في زوجتك ونمّيه وساعدها في اصلاح ما لا يعجبك

(1) رواه مسلم في (الحديث: 3633)، والإمام أحمد في (الحديث: 2/ 329).
(2) سورة: النساء، الآية: 19.

فيها، واعلم أننا بشر ولسنا ملائكة، واعلم أن من محاسن الإنسان أن تذكر مساوئه.

اتصبر عند البلاء ولا تصبر عند النعمة...!!

ومن التطبيقات العملية أيضاً. . . تجد أناساً كثيرين يصبرون عند المصائب، ولكن حينما يفتح الله عليهم الدنيا لا يصبرون . . يقول أحد الصحابة: «ابتلينا مع النبي ﷺ بالضراء فصبرنا ثم ابتلينا بالسَّراء فلم نصبر».

سبحان الله !! ترى الشاب صابراً على حياته وحينما يفتح الله له الدنيا ...!! يمتلك (المحمول) يعصي الله... يمتلك السيارة يعصي أكثر... اما يحدث ذلك يا شباب !؟ عندما كانت ظروفك ضيقة الى حد ما كنت صابراً ولا تعصي الله .. الا تستطيع أن تصبر عند النعمة ولا تعصي الله؟... ان فتنة سيدنا يوسف، وهو وزير أشد من فتنته في السجن...

انتبه معي... فتنة السَّراء تأتي ملتوية... لا تشعر أنها فتنة تحتاج لصبر... امّا فتنة الضراء تأتي صريحة واضحة.

وكان هذا ختاماً للنوع الأول من أنواع الصبر..

النوع الثاني: الصبر عن المعاصي.

انت «يوسف» هذه الأحلام

وهذا النوع سنتحدث فيه خصيصاً للشباب. . . فأرجوكم أيها الشباب أن تتقبلوا مني هذا الكلام . . .

إنني سأضرب لك مثلاً في الصبر عن المعاصي... لأخطر مشكلة تقابل الشباب اليوم... ألا وهي علاقة الرجل بالمرأة؛ بل أكثر من كلمة علاقة... !!

وهو ما حدث لسيدنا يوسف ﷺ مع امرأة العزيز...

إن يوسف شاب، موفور الصحة ،جميل، بل أعطي نصف الجمال... وهو عبد والعبد أكثر جرأة من الحر؛ لأنه لن يحاسب كالحر، وهو غريب ولا يعرفه أحد وهذا يسهل له كل الأمور.

اذاً سيدنا يوسف شاب، قوي، جميل جداً جداً، عبد، غريب.

وإليك الطرف الآخر... امرأة العزيز... امرأة جميلة، ذات منصب، سيدته وهي التي تطلبه وتجري وراءه، وغلّقت الأبواب (لا يراهما أحد)، وهي التي تدعوه إلى الفاحشة؛ بل تهدده إن لم يفعل ما تأمره به ستدخله السجن.

هل مرّ باحد منكم يا شباب بمثل هذا... هل هناك فتنة اشد من هذه...!؟

بل هناك أكثر من ذلك .. إن كل نساء البلدة يطلبن يوسف ويراودنه عن نفسه ...!!

اخشى ان يميل قلبك الى هذا الكلام... تذكر «انما الأعمال بالنيات»...

لم تكن هذه أحلام يوسف... !!

وانظر إلى رد سيدنا يوسف... قال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾[1]

هل تستطيع أن تكون هكذا... هيا ابدأ من الآن، فلا مكالمة... ولا مقابلة .. ولا ابتسامة... ولا ....

والله إن قصة سيدنا يوسف لم تترك عذراً لأحد من الشباب.

أسمعك تقول لي: إنك لم تر الجامعة ولذلك تقول هذا.

وأقول لك: إنك لم تر قصر العزيز ...!!

وتقول لي: إنك لم تر القنوات الفضائية التي بها الأماكن الإباحية.

وأقول لك: إنك لم تر امرأة جميلة غلقت الأبواب، وهَيَّئت كل الظروف، وتراود شاباً عن نفسه، وتهدده إن لم يفعل ذلك !!

أشعر بك الآن وقد اقتنعت بأن أسبابك واهية ضعيفة أمام ما عرفته عن الأسباب الميسرة لسيدنا يوسف.

---

(1) سورة: يوسف، الآية: 23.

واليك هذه ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾[1].

اجعل هذه الكلمة: ﴿فَٱسْتَعْصَمَ﴾، نصب عينيك... وانظر إلى تأثيرها عليك، أما قلتها لنفسك يوماً...!؟ اجعلها شعارك من الآن ..، وحينما تجد نفسك ضعيفاً... فارفع هذا الشعار خفاقاً عند قلبك ﴿فَٱسْتَعْصَمَ﴾.

يا شباب... استعصموا... اصبروا حتى تتزوجوا... فوالله لم يترك لكم سيدنا يوسف عذراً.

وتخيل ذلك حينما تقول: يا رب إن زماننا كان صعباً...

وقل لنفسك الآن:

وهل كان سيدنا يوسف ظروفه سهلة وبسيطة ...!!

يا من لا يستطيع ترك مصاحبة البنات... يا من لا يستطيع ترك مكالمات التليفون... انظروا الى سيدنا يوسف.. ووالله من نرى الآن أن يصبر عن المعاصي واستعان بالله... نسيرفقه الله... وهنيئاً له الجنات يوم القيامة ...

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ

(1) سورة: يوسف، الآية: 32.

ٱلْمَـَٔابِ ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾.

يا الله... وكيف حدث ذلك !؟

لقد وجدت أن قصة سيدنا يوسف هي أعظم مثل للصبر عن المعاصي.

وإلى أخي المدخن، إليك هذه الحكاية الواقعية والتي حدثت بالفعل لرجل كان يدخن السجائر لمدة 40 سنة، وقرر بعد ما سمع درس الدعاء أن يمتنع عن التدخين نهائياً ودعا الله أن ينجيه من السجائر ويعصمه منها وفعلاً امتنع عن التدخين. . . سبحان الله.

وكان الصبر عن المعاصي يجعلك تفعل المعجزات أو التي تراها أنها معجزات (فالبعض لا يتخيل أبداً أنه سيمتنع عن التدخين) ولكنه قابل للتحقيق... فبعد ٤٠ سنة تدخين... يستطيع ويصبر.

ومما يعينك على الصبر عن المعاصي أن تبتعد عن أصحاب السوء.

واجعل ثقتك في الله لا حد لها وأنه سيعينك أن صبرت.

---

(1) سورة: آل عمران، الآيتان: 14، 15.

اغلب معاصي النساء تبدأ من هنا ...!!

إن أغلب معاصي النساء تبدأ من التطلُّع لدنيا الآخرين...

فهي تريد أن تكون مثل فلانة... ولا تصبر عن التطلع لدنيا غيرها.

وحتى يرضيها الزوج يأتي لها بالمال (...) !!

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[1].

ولكن هناك نساء مؤمنات يقنعن بما آتاهن الله... وأحسبك منهن.

الا تكفيك قصة يوسف ...؟!

لقد اكتفيت بقصة يوسف كنموذج للصبر عن المعصية، وأحسبها وصلت لقلب كل شاب وفتاة.

فبالله عليك ضع قصة يوسف عليه السلام أمام عينيك... واقرأ سورة يوسف واقرأ الآيات وهو يقول: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾[2].

---

(1) سورة: طه، الآية: 13.　(2) سورة: يوسف، الآية: 33.

وقل لي: ما شعورك حينما تقرأها. . . هل تشعر بأنك تريد عمل معصية أم أنك لا تطيق أن تسمع كلمة معصية؟

ان قصة سيدنا يوسف تشعرك بالقوة... وان النفس قد تحررت من سجن الشيطان... ولذلك لا يقرأ سورة يوسف محزون او مكروب او محب لشهوة الا سُرّي عنه وصرفت عنه تلك الشهوة.

هيا... اقرأ سورة يوسف بهذه النية وتعايش مع هذه المعاني وكن من الصابرين.

النوع الثالث: الصبر على الطاعات.

قصة لم تحدث إلا مرة ولن تحدث بعد ذلك ...!!

وهي قصة سيدنا إبراهيم وابنه سيدنا إسماعيل حينما رأى في المنام أنه يذبحه، وهي نموذج فريد للصبر على الطاعة.

تخيَّل الطاعة تصل بأب أن يأتي بسكين ويذبح ابنه.

ما هذا... «انك لا تستطيع الصلاة في أول وقتها»... «ولا تستطيع قيام الليل» و... انني أقول لك... «ابراهيم يطيع أمر الله ويذبح ابنه... الا تستحي ؟!!»

والعجيب أن الابن يطيع والده في ذلك: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ

مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].

وبدأ إبراهيم بالذبح فعلاً ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾[2].

فما كان مطلوب من ابراهيم الذبح ولكن المطلوب، هو اثبات الطاعة لله والصبر عليه...

ايها الأخ الحبيب... انك تتكاسل في صلاة النافلة وسيدنا ابراهيم اتى بالسكين وسيذبح ابنه... الا تطيع الله وتصبر على طاعته؟ الا تصبر على طاعة الله وتصلي الوتر؟...

أين الصبر هنا ...!؟

وإليك هذا الحديث الشهير: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّه...»[3]

إن السبعة صابرون:

«إِمَامٌ عَادِلٌ» كان يستطيع أن يطغى، ويظلم، ولكن صبر، ومنع نفسه من الطغيان وصابر على العدل.

---

(1) سورة: الصافات، الآية: 102.

(2) سورة: الصافات، الآية: 103.

(3) رواه البخاري في (الحديث: 660) و(الحديث: 1423) و(الحديث: 6479) و(الحديث: 6806)، ومسلم في (الحديث: 2377)، والترمذي في (الحديث: 2391)، والإمام أحمد في (الحديث: 2/ 439).

«وَشَابٌ نَشَأَ فِي طَاعَةِ اللهِ» منذ صغره وهو مستقيم... يصبر على طاعة الله وصابر على التزوُّد من العبادة... من ذكر ودعاء واستغفار وقراءة قرآن.

«وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا أَنْفَقَتْ يَمِينُهُ»... انظر الصبر على أداء الطاعة... إنه يتحرَّى التخفي حتى تُقْبل الطاعة.

«رَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ». تحمَّلا بعضهما وصبرا على ذلك.

«وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» أين الصبر هنا؟ لم يخرج في اليوم الثاني يقول: كانت ساعة جميلة ليت كل منكم تفيض عيناه مثلي و... بل هو صابر يكتمها حتى تكتب له يوم القيامة.

«رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ» صَابِر عَلَى الفَرَائِضِ وَيُؤَدِيها.

«رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخافُ اللهَ» صابر على طاعة الله... لا يعصي الله ويصبر على ذلك.

اراك تقول... ان كل الطاعات تحتاج للصبر.. نعم فاصبر يحبك الله ويعينك.

ابداً اظل مع المؤمنين

إن من نماذج الصبر على الطاعات... أن تحرص على

صحبة الصالحين، وتبتعد عن أصحاب السوء.

يقول تعالى:

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾[1].

اصبروا أنفسكم مع المؤمنين... أما لاحظت الأمر؟

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾.

«واصطبر عليها»

ومن نماذج الصبر على الطاعات أيضاً... أن تُصَبِّر زوجتك وأولادك إن كنت متزوجاً... أو تُصَبِّر والدك ووالدتك... أو تُصَبِّر أخاك وأختك... على الصلاة وخاصة قيام الليل.

يقول تعالى:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[2].

أراك الآن تفكر... ولسان حالك يقول: من أين أبدأ وكيف أبدأ؟... هوّن عليك... يسّر ولا تعسّر... إياك أن تشق عليهم... تفنن في فعل ذلك بالرفق واللطف وأجمل الأساليب ...

---

(1) سورة: الكهف، الآية: 28.

(2) سورة: طه، الآية: 132.

«اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً»[1].

وصفة مجربة... مضمونة ١٠٠٪ !!

كان سيدنا عمر بن الخطاب يستيقظ كل ليلة في منتصف الليل ويصلي، وقبل الفجر بقليل يوقظ زوجته وأولاده ويقول لهم: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾.

كل يوم يوقظهم ويقول لهم تلك الآية. . .

يا الله... تعلمرا: ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾.

هيا... حاول التنفيذ !! اتفق الآن مع والدك ووالدتك... أو مع زوجتك وأولادك... على الاستيقاظ قبل الفجر بربع ساعة لصلاة ركعتين ثم صلاة الفجر... وانظر إلى السعادة التي ستملأ البيت في اليوم التالي... منتهى الراحة والوداعة والسكينة والطمأنينة والحب.

يا الله... !! كم من البيوت التي لا تعرف العيد إلا يومين في العام ...!!

وكم هي البيوت التي تعيش معظم أيام السنة أعياداً...!!

وإن لم تجد من يعينك ...!!

هناك معنى آخر للصبر على الطاعات. . . وهي نصيحة

(1) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (الحديث: 974).

ووصية مني لك. . . أوصيك أن تصبر على الطاعة وإن لم تجد من يعينك عليها. . . وإن لم تجد من يأخذ بيدك. . . اصبر على الطاعة وإن لم يكن هناك درس تحضره.

اجعل حب الله يستقر في قلبك... اجعل محبة الإسلام تتمكن منك ...

اجعل محبة مقدسات المسلمين تملأ فؤادك...

وعندئذ ستصبر بمشيئة الله وان لم تجد هناك معيناً...

وإياك ان تكون كالشاب الذي بدأ الاستقامة وحينما لم يجد من يعينه وقع في المعصية ولم يصبر...

خذها مني بقوة وأعلنها الآن...

لو لم يبق في العالم احد يطيع الله ...فكن انت من يطيعه...

فإنك تحبه... لو اختار كل الناس الدنيا ...فاختر انت الله.

واقـــرأ قـــول الله: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾[1].

---

(1) سورة: مريم، الآية: 65.

الا يستحق الله ان تعبده وتصطبر على عبادته وان لم تجد لك اعواناً ...!!!؟

اعظم درجات الصبر على الطاعات ....!!

إن أعظم درجات الصبر على الطاعات. . . أن تصبر عما يصيبك في سبيل الله. . . وهو مقام الأنبياء، يقول النبي ﷺ حينما مرّ على آل ياسر: «**صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة**»[1] وكانوا يؤذون إيذاء شديداً، ولكنهم صبروا. . . إن السيدة سمية وهي أول شهيدة في الإسلام عذبوها تعذيباً شديداً، ثم ضربها أبو جهل بالحربة في مكان عفتها.

ان الصبر على الحق في سبيل الله ليس له جزاء الا الجنة.

وهو صبر عظيم حقاً.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾[2].

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[3].

---

(1) رواه الحاكم في «المستدرك» (الحديث: 3/ 383).
(2) سورة: لقمان، الآية: 17.
(3) سورة: العصر، الآيات: 1 ـ 3.

قصة بكى لها القلب... !!

ومن أعظم أمثلة الصبر على طاعة الله وفي سبيله. . . ماشطة ابنة فرعون، وهي بلغتنا اليوم «كوافيرة»... ففي مرة من المرات وهي تمشط شعر بنت فرعون وقع المشط، فقالت: بسم الله *(أخطأت... انها كانت تكتم ايمانها... ولكن هذا حال المؤمن (تفضحنا اخلاقنا)* فقالت بنت فرعون: أبي الله؟ فقالت الماشطة: ربي وربك ورب أبيك الله، فقالت البنت: أوَ لك إله غير أبي!؟ فقالت الماشطة: ربي وربك ورب أبيك الله، فقالت البنت: لأخبرن أبي. . . وفعلاً أخبرت فرعون، فقال لها: أوَ لك رب سواي؟! فقالت: ربي وربك الله، فقال: أو لها أبناء؟ قالوا: نعم 4 أولاد منهم رضيع، فقال: ائتوني بهم وائتوا ببقرة من نحاس وأشعلوا فيها النار حتى تنصهر. . .

حاول ان تتخيّل ما سيحدث الآن... وضع نفسك مكان الماشطة.

فأخذ فرعون الولد الأكبر، وقال لها: أو لك رب سواي، فقالت: ربي وربك الله، فأخذوا الولد وألقوه في النيران أمام عينيها فأخذ الولد يصرخ حتى تفحم واختفى. . . وأخذ الثاني والثالث وكانت إجابتها واحدة: ربي وربك الله، فحدث لهما مثلما حدث لأخيهما. . . كل ذلك أمام عينيها. وجاء الدور على الرضيع فحنَّ قلب الأم وتشبثت به فنطق الرضيع قائلاً: اصبري يا أماه إنك على الحق. . . فألقى بالرضيع وأمه في النار.

أراكم قد تأثرتم بهذه القصة وتألمتم ألماً شديداً. . . جففوا دموعكم. . . يقول النبي ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج: «**بينما أنا أعرج في السماء شممت رائحة طيبة ما شممت مثلها من قبل، فقلت يا جبريل: ما هذه الرائحة؟ قال: هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها الأربعة**»[1]. يا الله !! العين تدمع في الحزن وفي الفرح أيضاً . . . !!

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2].

حقاً... ان من اعظم الصبر... ان تصبر في سبيل الله ولدين الله... لقد انتهى الجزء الثاني... واعتقد ان الصفرة قد تزحزحت شيئاً قليلاً... ولم يعد هناك الا جزء واحد وهو الاخير.

وبعده ان شاء الله...

تكون قد «هضمت» الصبر ولم ينقصك الا التطبيق...

من الذي جمع كل أنواع الصبر ...!؟

نريد أن نعرف مَن الذي استطاع أن يجمع كل أنواع الصبر.

---

(1) رواه ابن ماجه في (الحديث: 4030) مطولاً، والإمام أحمد في (الحديث: 1/ 309).

(2) سورة: الزمر، الآية: 10.

من الذي صبر على الابتلاءات، وصبر عن المعاصي، وصبر على الطاعات؟ إنه نبينا وحبيبنا محمد ﷺ . . . فلقد تحمل كل أنواع الابتلاءات التي تتخيلها . . . فلقد كان يتيماً . . . ولقد رعى الغنم . . . إنه أكثر من ابتلي في سبيل الله في الكون كله . . . ثم أمر بالدعوة إلى الله ليل نهار، حتى تقول له السيدة خديجة: أفلا تنام . .؟ فقال ﷺ: «**مضى عهد النوم يا خديجة**» ويموت له سبعة أولاد وآخرهم إبراهيم الذي كان يحبه كثيراً، حتى إنه من شدة سعادته به كان يذهب به إلى بيوت الصحابة ويقول لهم: «**أرأيتم إبراهيم ابني**».

تخيّل... الرجل أو المرأة الآن اذا مات لها ابن تبكي عليه طوال العمر

تطلق ابنتيه رقية وأم كلثوم، وكانتا متزوجتين من عتبة وعتيبة ولدي أبي لهب وكان مكتوب كتابهما فقط فأمر أبو لهب ابنيه أن يطلقا ابنتي النبي بعد أن قال إنه نبي . . . وتموت أحب الزوجات إليه . . . السيدة خديجة . . .

يا الله كل هذه ابتلاءات؟! وماذا ايضاً...؟

يُبتلى النبي ﷺ في عرضه . . .تخيّل حجم هذا الابتلاء يقال: أن زوجته قد زنت . . دائماً نسمع أنه ***«مافيش دخان من غير نار»***.. إن حادثة الإفك «دخان من غير نار» . . ويضرب ويؤذى النبي ﷺ، فكان الكفار يجدونه ساجداً عند الكعبة فيأتون بسلا الجزور (أمعاء جمل ميت) فتلقى على رأسه

فما يستطيع أن يرفع رأسه، ويضرب يوم الطائف بالحجارة ويشتم. . . يقول النبي ﷺ: «**لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، ولقد أوذِيتُ في الله وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ ولَيْلة وَمَا لي وَلِبِلاَلٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إلا شَيءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلاَل**»[1] وكان يربط على بطنه الحجرين من شدة الجوع. . . وكان يمر عليه الهلال ثم الهلال ثم الهلال ولا يوقد في بيته ﷺ نار. . . حتى أنه كان يصلي من شدة تعبه في آخر عمره جالساً وكان يتوعك كما يتوعك الرجلان. . . تقول السيدة عائشة: ما رأيت أحداً يتوجع من المرض كما رأيت رسول الله ﷺ.

ومع ذلك كان يقول ﷺ مثنياً على ربه ﷻ راضياً: «**لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»[2] وذلك لما كان له من أنس بالله ﷻ يغنيه عن الدنيا كلها.

حقاً: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[3].

المؤمن مرآة اخيه

وطالما أن المؤمن مرآة آخيه. . . فلا بد من الصراحة، وإياك أن تغضب. . .

---

(1) رواه الترمذي في (الحديث: 2472)، وابن ماجه في (الحديث: 151)، والإمام أحمد في (الحديث: 3/ 286).

(2) رواه الإمام أحمد في (الحديث: 6/ 58).

(3) سورة: الأحزاب، الآية: 21.

يا ضعيف العزم . . يا من لا يستطيع ترك السيجارة. . . يا من لا يستطيع الصبر عن المعاصي. . . يا من لا يستطيع الصبر على طاعة الله . . .

تعلم من أنبياء الله . . وانظر إلى طريق الإسلام. . . لقد ناح فيه نوح وألقي في النار إبراهيم وذبح فيه يحيى ونشر بالمناشير زكريا وأوذي فيه محمد ﷺ . . .

كل هذا وانت تلهو... وأنت تلعب... وأنتِ تقولين: «لن أستطيع ارتداء الحجاب انَّ صبري ضعيف».

الم تستفد مما سبق ...؟ الم تستفيدي مما سبق ...؟

ما اجمل هذا الدعاء...!!

يقول تعالى:

﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾[1].

ما أجمل هذا الدعاء القرآني، اقرأه مرة أخرى. . . واستشعر كلمة: «أفرغ». . . املأنا صبراً يا رب، اجعل الصبر يغشانا. . . إن مدمن المخدرات يستطيع الآن أن يتوب ويبتعد نهائياً عن المخدرات ويقويه على ذلك الصبر. . . مثلما حدث مع

(1) سورة: البقرة، الآية: 250.

الرجل الذي ظل يدخّن 40 سنة وامتنع وصبر وكان الله معينه.

انت مطالب بان يكون لديك طاقة ذاتية للصبر حتى وان لم يعنك احد... طاقة ذاتية تجعلك تفعل ايّ شيء من أجل أشتى هدف وهو الجنة... فهذا كاف ليعينك على الصبر... واذا اردت ايضاً العون على الصبر.. اعلم أن الدنيا قصيرة اولها بكاء واوسطها عناء وآخرها فناء.

وكما نعلم ان سمو الغاية لا تنال الا بسمو الوسيلة.

فان كانت غايتنا السامية هي الجنة فان وسيلتنا السامية هي الصبر.

يا دنيا... غُرّي غيري

كان سيدنا علي ﷺ يقول: «يا دنيا غُرّي غيري قد طلقتك ثلاثاً . . . آه آه من قلة الزاد وبعد الطريق». اما تحب ان تقولها ولو مرة في العمر .... تفكر في بُعْدِ الطريق وقلة الزاد.

إن النبي ﷺ يقول: «مالي وللدنيا وما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظلّ تحت شجرةٍ ثمّ راح وتركها»[1].

(1) رواه الترمذي في (الحديث: 2377)، وابن ماجه في (الحديث: 4109).

ما الذي يعينك على الصبر ...!؟

وإليك هذه الأمور التي تعينك على الصبر:

1 ـ قصر الدنيا.

2 ـ معرفتك أنك لله وأنك إليه راجع، واجعل هذا المعنى في ذهنك دائماً.

3 ـ اعلم أنه ليس هناك ثواب للصبر إلا الجنة.

4 ـ أن يكون يقينك بالفرج يقيناً كبيراً.

لا تقرأ هذه المعينات سرداً...

ولكن اقرأ واحدة تلو الأخرى وقس كل واحدة بما فهمته من موضوع الصبر.. وستكتشف أشياء عجيبة..!!

نحفظها وننساها...!!

يقول الله ﷻ:

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[1].

أما فكرت... لماذا لم يقل الله ﷻ: *فإن بعد العسر يسراً...!!؟*

---

(1) سورة: الشرح، الآية: 5.

سبحان الله. . . !! لو كان العسر طائراً يطير إلى عُشه لتبعه اليسر . . .

إن العسر لا يأتي وحده أبداً. . . إنه ملاصق لليسر.

تقول: إنني مبتلى منذ زمن طويل ولا أرى يسراً. . . إنك أيها الأخ الحبيب لم تر اليسر ولكنه موجود. . . فهو والله ملاصق للعسر.

أراك مندهشاً... في حيرة... تقول: أنت لم تجب على السؤال... !! انها يقظة متاخرة... فان الإجابة كانت ما بين السطور... اقرا القطعة مرة اخرى.

اليقين في الفرَج يهون عليك المصيبة

وانظر إلى سيدنا يعقوب حينما فقد ابنه الثاني قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾[1].

إنه يقين في الفرج يهون عليه المصيبة. . . فهل توقن في فرج الله . . !؟ . . إذن لماذا لا تصبر . . !؟

يا الله... !! ما عرف الله حق المعرفة !!

يقول ابن عطاء الإسكندري: «من ظن بُعد لطف الله عن قدره فما عرف الله حق المعرفة».

(1) سورة: يوسف، الآية: 83.

هل فهمت معنى هذه المقولة...!؟

تقول نعم انها مفهومة... فهل استشعرتها ...!؟

انه من ظنَّ ان لُطْفَ الله بعيد تلبك عن المصيبة... لم يعرف الله.

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾[1].

مع المصيبة... مع الابتلاء... هناك لطف يعينك على الصبر...

فهل تظن ان لطف الله بعيد عن قدره...!؟

اوجزت فانجزت يا ابن الخطاب

ويعينك على الصبر هذه الكلمة لأمير المؤمنين سيدنا عمر ابن الخطاب ﷺ.

يقول: «ما أصابتني مصيبة إلا هانت عليَّ بأربعة أشياء:

الأولى: أنها لم تكن أكبر منها (سبحان الله !! حقاً لقد كان من الممكن ان تكون اشد).

الثانية: أنها لم تكن في ديني (نعم... فكل مصيبة ليست في الدين تهون).

---

(1) سورة: يوسف، الآية: 100.

الثالثة: أن الله يعوضني عنها الجنة، (وبا له من ثمن للصبر).

الرابعة: أني تذكرت مصيبتي في فقد النبي ﷺ.

عليك الآن أن تحفظ هذا... وتذكّر به نفسك دائماً

وعندها ما من مصيبة إلا وستهون عليك... وهنيئاً لك...

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[1].

اصعب صبر... !! صبر لا يطاق!!

ما هو أصعب صبر في الوجود؟. . . ما هو أشد صبر على النفوس ؟

سأل الشبلي: ما أشد أنواع الصبر؟ فقالوا: الصبر في الله ؟، فقال: لا، قالوا: الصبر مع الله؟ فقال: لا، قالوا: فأي أنواع الصبر أشد؟ قال: أشد أنواع الصبر. . . الصبر عن الله.

ومعناه: أنك تنسى الله... تنسى أوامره ونواهيه.

يا الله !! عندها تصبر على طاعة الشيطان ولا تصبر على طاعة الرحمن!!... تصبر على ضنك العيش بعيداً عن

(1) سورة: البقرة، الآية: 155.

رضى الله ولا تصبر على نيل رضى الله وفيوض رحماته..!!

ولكني لا أراكم من هذا الصنف... أليس كذلك!؟

واخيراً... همزة وصل

أيها القارىء الحبيب. . . كان ذلك خلق الصبر. . . ولقد انتهينا من الجزء الثالث والأخير وأرى الصخرة قد تزحزحت وفُتِحَ الغار.

فهل وصلت للمراد من الصبر. . . !؟

هل يا ترى سنصبر ونستقيم؟ وهل يا ترى سيكون عندنا الدافع الذاتي للصبر أم لا بد من المعين ؟

والله من أراد الصبر سيصبر.

يقول ﷺ: «إِنَّ الصَّبْر بالتَّصبُّر»[1].

درِّبْ نفسك واستعن بالله... وستنال الخير بإذن الله..

---

(1) رواه ابن حجر في «فتح الباري» (الحديث: 1/ 161).

الذوق

خلق إسلامي صميم

إن الخُلق الذي سنتعرض له الآن... صار من الصعب أن تقتنع أنه خلقٌ إسلامي !! بل تتعجب إن قيل ذلك.

فخلق الإيثار مثلاً أنت على يقين أنه خلق إسلامي رغم أنك لم تكن تعرف معناه... ولكن خلق الذوق على العكس.

فأنت تعرفه جيداً وتتخلّق به ولكنك لا تعرف أنه خُلُق إسلامي، ولذلك حينما أقول لك خلق الذوق... الأدب... سمو النفس .. التعامل الراقي مع الناس...

أجدك تقول: وما علاقة هذا بالإسلام ؟

ان الكثير منا يشعر بان هذا الخلق غريب على الإسلام...!!

ولذلك فإننا نريد ان تكون نيّتنا الاساسية هي ان تصل معي الى ان الذوق خلق اسلامي صميم.

حقاً... أن هناك أخطاء يجب أن تصحَّح...!!

هيا جدِّد النية.

ما المقصود بالذوق...!؟

بداية أقصد بخلق الذوق: أدبيات التعامل مع الناس... تقدير قيمة الجمال... الروح الجميلة... النفس المرهفة... النظام.. النظافة... الحس المرهف... الروح الجميلة... النفس الشفافة التي تفهم الخطأ وتقدر وقوعها فيه من نظرة العين وابتسامة الوجه.

عشنا هذه اللحظات مع كلمات رقيقة تهذب المشاعر وترقق القلوب، وكلها مرادفات لكلمة واحدة وهي: الذوق.

ولكنني اعتقد أن أحلى وأجمل العبارات التي قرأناها منذ قليل هي: «النفس الشفافة التي تفهم الخطا وتقدر وقوعها فيه من نظرة العين وابتسامة الوجه».

يا الله .. أيّ حسٍّ مرهف هذا...!! اللّهمّ اجعلنا منهم

هل أنت من هؤلاء...!؟

آهٍ منك... لقد تركت هذا الجو الجميل الذي ترتقي به المشاعر...

وأصررت على موقفك وقلت: وما علاقة هذا بالدين؟

إن الحياء شعبة من الإيمان... وإن من يفهم خطاه من نظرة العين وابتسامة الوجه اليس بحيِّي!!؟

ما زالت الرؤية لم تتضح......!!

رغم هذا ما زلت تشعر بأن خلق الذوق بعيد كل البعد عن الإسلام؛ بل تزداد قناعتك وتقول: إن الأدب، والحس المرهف، والروح الجميلة، والحضارة، والرُّقي، والتعامل مع الناس، و... كل هذا يدرس في الجامعات العالمية للدبلوماسيين، فهم الذين يحتاجون هذا الخُلُق ولذلك فهم يتعلمونه.

وإن هذا الخلق يدرَّس لتلاميذ المدارس الأجنبية فهي التي تهتم بتدريس هذه الآداب....

ولذلك يتكرر داخلك السؤال... ما علاقة هذا الخلق بالإسلام؟

أخي الحبيب... أما نقشت في قلبك هذه العبارة:

الذوق خلق إسلامي صميم

إن لم تكن قد نُقشت... فما زال هناك متسعٌ من الوقت

اصناف أربعة...!!

إنني في هذا الخلق ـ خلق الذوق ـ سوف أبعث رسائل إلى أربعة أصناف موجودة في مجتمعات المسلمين عموماً، فهم المعنيون بهذا الموضوع.

أخي الحبيب .. اعلم أنك واحد من هذه الأصناف الأربعة.

فهيا استعد لتلقي الرسالة، وإنني أعلم أنه بدون طابع البريد لن تصل الرسالة .... فاللّهمّ ارزقنا الإخلاص!!!

الصنف الأول

وأول هذه الأصناف صنف اعتقد أن الذوق والأدب والخلق الرفيع والرُّقي والحضارة... كل هذا اعتقد أنه قيم غربية، ونحن قد تعلمناها منهم عن طريق المدارس الأجنبية...

فتجد الأب يقول: أريد أن يكون ابني في منتهى الأدب والذوق لذلك سأدخله مدرسة أجنبية...!!

إن هذا هو أول صنف أريد أن أبعث له رسالة... فيا من اعتقدت أن الأدب والذوق والرقي من قيم الحضارة الغربية ونحن أخذناها منهم ستعرف الآن خطأ هذا الاعتقاد.

وسينجلي لك الأمر وتعرف أن الذوق خلق اسلامي اصيل.

الصنف الثاني

وثاني هذه الأصناف: صنف من الناس تربَّى على الآدب والرقي والذوق، وظنَّ أن الإسلام عكس ذلك تماماً، فتراه حينما يسمع كلمة «متديِّن» يكون مرادفها بالنسبة له: عدم اللياقة... عدم النظافة... عدم النظام...

فصار الذوق حاجزاً بينه وبين التديُّن.

ان هذا الصنف ليس بالقليل في المجتمع وقد يكون عنده العذر.

فإنه لا يعرف... ورسالتنا له تكون بمشيئة الله في محلها...

فسيحطم الحاجز.. وسوف يتدين حينما يعلم ان الذوق منبعه الاساسي هو ديننا.

الصنف الثالث

وثالث هذه الأصناف صنف ظنّ أن الإسلام داخل المسجد فقط... !! شعار هذا الصنف: «دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر» وبالتالي فالأدب والرقي والحضارة وكذلك إدارة

الحياة جميعها... ليس لهذا علاقة بالدين.

ولهذا الصنف خاصة أوجّه لهم رسالة من القلب وأقول: ان ما لله لله وما لقيصر لله!

وستعرف وستتأكد لك الآن ان الأدب والرقي والذوق والحضارة له أصل في ديننا فإن كانت هذه الأشياء البسيطة لها أصل في الدين أليس لباقي أمور الحياة أصل في الدين؟... ان الإسلام جاء لتنظيم الحياة وإدارتها.

الصنف الرابع

وآخر هذه الأصناف صنف من الشباب المتديِّن الذي فهم الإسلام كعبادة... صلاة وصيام وذكر وتسبيح وخشوع و... فهو حريص على العبادة، حريص على إرضاء الله... ولكنه لم يفهم أن الذوق من أخلاق الإسلام، ومن قيمه التي جاء بها النبي ﷺ، فتجده يعامل الناس بغلظة... وبشيء من عدم الذوق في التعامل مع الناس، فتكون النتيجة أنه يفتن الأصناف الثلاثة السابق ذكرها... فيصبح تديُّنه سبباً لبعد هذه الأصناف عن الإسلام... وتجد أبويه يقولان: منذ أن تدين أصبح فظّاً... غليظاً... غير مهتم بملبسه، انظر إلى شكله!! رائحته!!

وإلى هذا الصنف أوجه رسالة تتساقط منها الدموع...

وأقول له: أرجوك افهم الإسلام فهماً صحيحاً، فالإسلام

كلٌّ لا يتجزأ... افهم الإسلام كما جاء به النبي ﷺ واعلم أن الذوق قيمة من قيم الإسلام الهامة.

غايتنا من هذا الخلق

إنني أعتقد أن هذا الخلق - خلق الذوق - من أهم الأخلاق، مثله مثل الصدق... الصبر... الأمانة.

إنني أريد أن نخرج من خلق الذوق بعد يقيننا أنه خلق إسلامي بهذه العبارة: «الحمد لله على نعمة الإسلام».

الحمد لله أننا منتمون لهذا الدين العظيم: دين الإسلام.

أحبتي الكرام: إن غايتنا من هذا الخلق أن نفخر بانتمائنا للإسلام.. وكيف لا نفخر وهو دين الرحمة والسلام والسعادة والأدب والرقي والذوق؟

أحبتي الكرام... نحن أولى الناس بهذا الخلق.

مرجعية الذوق للإسلام

إنني حينما قلت لك: إنك واحد من الأصناف الأربعة السابق ذكرها لم أقصد نفي خلق الذوق عنك... لا والله، فأنا على يقين أنك تربيت على الذوق، ولكن الاختلاف هو:

أنك تربَّيت على الذوق كتربية بيت؛ لا لأنه خلق إسلامي والإسلام يأمر به.

نعم كثير منا تربى على الذوق والأدب والرقي في المعاملة، لا لأن الإسلام يقول ذلك ؛بل لأن الأصول تقول ذلك ولكننا الآن سنعرف أن مرجعية الذوق هي الإسلام.

الحمد لله على هذا الفهم .... انه صفاء الابتداء.

منهجنا في هذا الخلق

إن هذا الخلق ـ خلق الذوق ـ سنتناوله من خلال تطبيقات عملية، بمعنى أننا سنقسمه إلى موضوعات كثيرة، كل موضوع يتعرض لجزئية من جزئيات حياتنا الواقعية، ثم نرى كيف تعامل معها الإسلام من خلال سيرة النبي ﷺ وأفعال الصحابة وأدب التابعين لنتربى ونتأدب ونتعلم الذوق من هؤلاء.

هيا اخي الحبيب لنتعلم الذوق من منابعه الاصلية..

واعلم أن معين الإسلام لا ينضب...

ولكن اين من يبحث ....!؟

الأدب مع الخلق

في الحقيقة حينما أردت أن أحصي الأدب والذوق الذي

تناوله الإسلام... وجدتها أشياء ضخمة لا تستوعبها هذه الورقات القليلة لذا رأيتُ أن أرتِّب...

نسابها بمشيئة الله بالأدب والذوق داخل البيت.

الذوق مع الوالدين

وأول من نبدأ بالذوق معهم داخل البيت هما الوالدان، وأحب أن أنوِّه بأننا هنا لا نتحدث عن بر الوالدين، حتى لا يختلط الأمر ...

وسنضرب أمثلة للذوقيات مع الأب والأم؛ لأننا لن نستطيع أن نحصر كل الذوقيات... ونبدأ بهذا المثال:

أحد الأشخاص دخل بيته ومعه طعام يحبه ولا يحب أن يشاركه فيه أحد، لذا فهو يخبئه حتى لا يراه أبوه وأمه، أو يريح نفسه ويأكله قبل أن يدخل البيت.

أشعر بابتسامة تعلو وجهك... هل حدث لك مثل هذا الأمر (؟!)

فإليك يا من تفعل ذلك هذه القصة:

أحد صحابة النبي ﷺ كان يحتضر .. وكان حوله إخوانه يلقنونه الشهادتين فلا يستطيع !! عقد لسانه... فذهبوا إلى النبي ﷺ (إن الموضوع خطير) وشرحوا الأمر للنبي ﷺ...

فسأل عن أبويه فقالوا: له أم، فذهب إليها النبي ﷺ: وسألها عن أحوال ابنها .... فأثنت عليه... إنه كان طائعاً لله، قوّاماً، صوّاماً، ... ولكن النبي ﷺ كان يريد معرفة حاله معها لا مع الله فقال: «**كيف حاله معك؟**»[1] فسكتت. ثم قالت: كان يأتي بالفاكهة لزوجته وأولاده ويخبئها عني.

يا الله عقد لسانه فلا يستطيع النطق بالشهادتين لهذا الأمر: عدم الذوق مع أمه...

فأراد النبي ﷺ أن يرقق قلب الأم على ابنها فإن الخطب عظيم، فأمر الصحابة أن يوقدوا له ناراً... فنار الدنيا أهون من نار الآخرة، فتحرّك قلب الأم وقالت: سامحته يا رسول الله، فانطلق لسان الصحابي بالشهادتين .....

ما رأيك في هذا الدين الذي يقدّر قيمة الأدب مع الأم....

ان هذا مثال بسيط... فكّر الآن وانظر ماذا تفعل مع والديك....

إياك ان تكون مثل جريج

من الأدب مع الوالدين أيضاً أن تلبي نداءهما من أول

(1) رواه الإمام أحمد في (الحديث: 4/ 381).

وهلة، ولكن نلاحظ الآتي: أمك تنادي عليك وأنت مشغول فعلاً فلا ترد عليها *(يحدث ذلك أليس كذلك !؟)*

ويأتي النبي ﷺ ويروي حديثاً طويلاً ما معناه: كان فيمن قبلكم رجل عابد اسمه: جريج العابد... كثير الصلاة، فبينما هو في محرابه يصلي جاءت أمه فقالت: يا جريج: (تنادي عليه) فقال في نفسه وهو يصلي: أي رب! أمي وصلاتي! فأقبل على صلاته فانصرفت الأم، فجاءت في اليوم التالي ونادت: يا جريج!... فقال: أي رب! أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته فانصرفت، فجاءت في اليوم الثالث، ونادت: يا جريج!، فقال: أيّ رب! أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته فغضبت الأم وقالت: اللهم لا تُمِتْه حتى ينظر إلى وجوه (.....)!! قالت كلمة معناها الزانيات.

فسُلِّطت عليه امرأة زانية وحملت وجاءت بولد وقالت: هذا ابن جريج (ظلماً وبهتاناً) فقاموا (بنو إسرائيل) إليه يضربونه ويؤذونه ويهدمون صومعته... ثمّ تاب الله عليه وأنجاه في النهاية[1].

ان الشاهد في هذا الحديث الذي نريد ان يصل الى كل انسان... هو ذوق بسيط جداً: ان ترد على امك حينما تناديك عليك وتنتظر منك الرد...

(1) رواه البخاري في (الحديث: 3436) و(الحديث: 2482)، ومسلم في (الحديث: 6456)، والإمام أحمد في (الحديث: 2/ 301).

واهدي هذه القصة لشاب يذهب ليصلي الجمعة في المسجد وينتظره أبوه وأمه ساعة واثنين و... حتى تجتمع الأسرة جميعها على الطعام.

وأهدي هذه القصة لفتاة تجلس مع زميلاتها طول الوقت وتبخل على أمها بنصف ساعة تجلس معها فيها ...

ان ما حدث لجريج كان بسبب عدم تلبيته لأمه بالرغم من انه كان في عبادة... فكيف حالك انت أيها الشاب وانت أيتها الفتاة؟!

أرأيت أدب الإسلام وذوقياته في التعامل مع الأم؟

ان هذا والله لغيض من فيض.

يا له من دين

وانظر إلى هذا الذوق الرفيع في الاستئذان للدخول على الأب والأم، تجسده آية في القرآن الكريم تتكلم عن أدب الدخول ووقته . . . .

ديننا يخلّد الأدب في قرآن يتلى ليوم الدين.

يقول الله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ

ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ﴾[1].

سبحان الله .. آية ترسخ قاعدة من قواعد الذوق ...

هل بعد ذلك نقول: ان الإسلام ينظم الحياة داخل المسجد فقط ام ينظم الحياة كلها... انه ينظم الحياة داخل غرفة النوم!!

انظر الى مكانة الأدب والذوق في ديننا العظيم.

وانظر الى اي حد وصلت.

يا له من دين عظيم ....!!

نقلة عظيمة

جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله أأستأذن على أمي؟، فقال النبي ﷺ: «**نعم**»، قال الرجل: يا رسول الله أأستأذن على أمي؟ فقال النبي ﷺ: «**نعم**»، قال الرجل في المرة الثالثة: يا رسول الله أأستأذن على أمي؟ فقال له النبي ﷺ: «**أتحب أن تراها عارية؟**» قال: لا يا رسول الله، فقال ﷺ: «**فاستأذن على أمك**»[2].

اراكم تتعجبون من هذا الحديث... ولكم الحق فلقد

(1) سورة: النور، الآية: 58.
(2) رواه البيهقي «السنن الكبرى» (الحديث: 7/ 97).

تربيتم على الإسلام، ولك أن تتعجب من سؤال الرجل، ولكن العرب قديماً كان وارداً عندهم ألا يستأذن أحد على أمه... وليس العرب فقط فالعالم كله قبل الإسلام كان لا يُقدِّر هذه الذوقيات....

وجاء النبي ﷺ بالإسلام فخلّص هذه البشرية ونقلها نقلة عظيمة من همجية إلى نظام، ومن عدم مراعاة لشعور ولا لإحساس إلى أدب وذوق رفيع. . .

وخرجت أجيال مسلمة تعلِّم الدنيا ذوقيات وآداب الإسلام... فالكل الآن يستأذن على أبيه ويستأذن على أمه... والكل الآن يتأدّب بآداب الإسلام.

ثم ينسبها الغربيون إلى أنفسهم وحضارتهم.

الذوق مع الزوجة

ونتنقل بعد الذوق مع الوالدين إلى الذوق مع الزوجة. . .

وأول ما أتذكر. . . المشاعر الرومانسية الجميلة الصادقة بين الزوجين، فتجد في الأفلام والمسلسلات الأجنبية الرجل يجلس في مطعم مع زوجته (أو أياً كانت فالكل عندهم سواء) ثم يقطع اللحم بالسكين ثم يغرز الشوكة في اللحم ويضعه في فمها. . . ويشاهد ذلك الشباب والنساء في انبهار ولسان حالهم يقول: (ذلك هو الذوق. . . يا ليتنا نتعلّمه) وتخرج الأجيال

تُقلِّد ذلك، وهو تقليد طيب. . . ولكن الخطأ أن تظن أن أصل هذا الذوق من عندهم. . . بالرغم من أن النبي ﷺ ذكر ذلك من 1400 سنة !!!

أراك تتعجب وتندهش. . .

وإليك حديث النبيﷺ حتى تتضح لك الأمور.

يقول النبي ﷺ: «إن أعظم الصدقة لقمة يضعها الرجل في فم زوجته»[1].

هيا اعلنها بكل قوتك وباعلى صوتك وقل من يتعلم من الآخر؟ من ياخذ من مَنْ ...؟ افخر بدينك واعتز به.

العوالي... والذوق العالي

وانظر إلى الذوق في الزواج. . . وكم من الزيجات التي تُهدم بعد كتب الكتاب بسبب تأسيس الشقة. . . الجهاز. . . الأثاث. . . فالزوج لا يستطيع أن يجعل زوجته بنفس المستوى التي كانت تعيشه في بيت أهلها. . . فتفشل الزيجة.

أو تجد أهل العروسة يبالغون في طلباتهم. . . فتفشل الزيجة أيضاً، ولكن انظر إلى ذوقيات الإسلام التي تراعي

(1) روه البخاري في (ا[illegible] ـ: 56)، ومسلم في (الحديث: 4185)، وأبو داود في (الحديث: 2864)، والترمذي في (الحديث: 2116)، والنسائي في (الحديث: 2708).

المستوى الاجتماعي بين الزوج، والزوجة وضَعْهُ نصب العين.

من المعروف أن النبي ﷺ كانت تسكن كل زوجاته بجوار المسجد النبوي الشريف، وهذه المنطقة كلها منطقة صحراوية، وكل زوجات النبي تعوَّدن على هذه الحياة، وحينما تزوج النبي ﷺ من السيدة مارية المصرية كان هناك حال آخر . . . .

فالسيدة مارية جاءت من مصر: أرض النيل والخضرة، فهل تستطيع الحياة في هذه المنطقة الصحراوية !؟ فماذا فعل النبي ﷺ؟ هل أسكنها بجوار زوجاته؟. . . لقد أسكنها النبي ﷺ في مكان في المدينة يسمى العوالي. . لماذا؟ لأنه مكان كله خضرة وزرع.

ما رأيك في هذا .... انظر الى المراعاة الدقيقة... انظر الى الذوق العالي.

فالنبي ﷺ يعرف مصر والحياة فيها ومارية جاءت من مصر.

وانظر إلى النبي ﷺ حينما أراد أن يزوّج ابنته وحبيبته الغالية السيدة فاطمة، فلقد جاءها زوج قلَّ مثيله. . رجل، مؤمن، يُعْتَمد عليه. . . يا لفرحة من ستتزوجه. . . إنه سيدنا علي بن أبي طالب. . . مؤهلات هذا العريس تتقازم دونها أشياء كثيرة. . . ما الذي تملكه يا علي عندما أردت الزواج ؟

لقد كان يملك حصيرة ووسادة حشوها ليف.

لا اقول هذا الكلام لنطبّقه... فلا تاخذ ظاهر الكلام ارجوك... اقصد عدم المبالغة في اي حال... فإننا نرى ان زيجة كادت ان تفشل لاختلاف العائلتين على لون فستان الفرح ابيض او سكري.

وأكرر... لا بد من مراعاة المستوى الاجتماعي وتقاربه بالنسبة للزوجين فإن ذلك من ذوقيات الإسلام وآدابه.

إسلامنا الجميل

وما زلنا في الذوق مع الزوجة... في وقت المحيض تكون حالة المرأة النفسية مختلفة... !! ورجال كثيرون لا يحبون معاملة زوجاتهم بأيِّ شكل من الأشكال في هذا الوقت... بل تصل الدرجة إلى أنهم لا يريدون النظر حتى في وجهها... فهو لا يطيقها في ذلك الوقت وإن هذا والله لمن قلة الذوق.

وانظر كيف كان يفعل حبيبك محمد ﷺ.

تقول السيدة عائشة: «كنت في أثناء المحيض أشرب من الإناء فيأخذه مني النبي ﷺ فينظر إلى موضع شفتي فيضع فيه على موضع شفتي»[1].

(1) رواه مسلمفي (الحديث: 14)، و أبو داودفي (الحديث: 259)، و النسائيفي (الحديث: 279) و(الحديث: 70)، و ابن ماجهفي (الحديث: 643).

لا تتعجب!! انه الإسلام... وانه نبي الله (محمد) فهيا وكن من اتباعه واقتد به وتادب بآدابه... يفعل ذلك مع السيدة عائشة ولسان حاله « انا لست ضائقًا منك » .

ولكن لماذا يفعل النبي ذلك في هذا الوقت ...!؟

لانها تحتاج لذلك في هذا الوقت ..... انفهم ايها الاخ الحبيب ونفذ... ما رأيك في ذوقيات الإسلام في التعامل مع المرأة ....!؟

هل عند الغرب مثل هذا الأدب؟ مثل هذا الذوق؟ أم لا!؟ حقاً علينا ان نعضّ اصابعنا ندماً على عدم معرفتنا بإسلامنا وتقصيرنا في ذلك.

هيا... خُذ كلامي بقوة انه اسلامنا الجميل.

ذوق رفيع رغم الفعل الشنيع ....!!

من الذوق الرفيع أيضاً مع المرأة مراعاة شعورها عند غضبها وعند ضعفها، وإليك هذا الموقف وتعلّم منه.

جلست السيدة عائشة ذات يوم مع النبي ﷺ، فرفعت صوتها وعلا على صوت النبي ﷺ فرأى ذلك سيدنا أبو بكر فلم يتحمل ما شاهده، فكاد أن يضربها، فجاء النبي ﷺ وحال بينه وبينها.

ومشى سيدنا أبو بكر ولم يضربها... فأحست السيدة عائشة بالإهانة من هذا الموقف، لقد كادت تضرب!

وهذا شعور ياتي لكل امرأة اذا وقعت في هذا الموقف او في اي موقف شبيه....

فماذا يفعل النبي ﷺ في موقف كهذا؟.... لقد هوَّن عليها..

قال لها: «أَرَأَيْتِ كَيْفَ حِلْتُ بَيْنَه وَبَيْنَكِ».

إنه والله لذوق رفيع يدل على قلب كبير يَسعُ الناس جميعاً ويحبهم جميعاً... ذوق ياسر الفؤاد.

نعم ياسر فؤاد زوجتك، ولكني اوصيك:

اياك ان تكون صلباً فتكسر او ليناً فتعصر!

كنت لك كابي زرع لأم زرع......

ومن الأزواج من يهدد زوجته مراراً وتكراراً... هزلاً وجداً... قائلاً: سأتزوج عليك.. سبحان الله!! أين الذوق في التعامل مع المرأة؟.. ومنهم من يعتبرها من المزاح... في حين أن هذا الأمر يجرح المرأة جرحاً شديداً ولا تنساه لك...

اراك تقول نعم والله انها مازالت تذكر ما قلته لها من

عشر سنوات... بالرغم من انني كنت اضحك معها!!.

وإليك هذا الحديث الطويل الذي دار بين النبي ﷺ والسيدة عائشة. . . فلقد جلست مع النبي ﷺ، وأخذت تقص له عشر قصص عن زوجات مع أزواجهم، وظلت تحكي حتى وصلت إلى القصة الأخيرة، قالت: وآخر الأزواج اسمه: أبو زرع، كان رقيقاً مع زوجته، يحبها وتحبه، عاشت معه أحلى الأيام، ثم قالت السيدة عائشة: غير أنه طلقها. . . فنظر إليها النبي ﷺ وقال لها: **«كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ غير أني لا أطلقك»**[1].

انظر الى نبينا الحبيب وكيف يسكن زوجته ...

ان المراة حينما تحكي عن زوجات قد طلقهن ازواجهن... تكون خائفة ان يحدث لها مثلهن...

ولكن انظر الى حساسية نفس النبي وحسه الراقي بمن يحدثه... فلم يترك الامر ولكنه اخذ الكلمات وثبتها... «كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ غَيْر أني لا أطلقك».

انها ذوقيات الإسلام... انها آداب الإسلام.

---

(1) رواه البخاري في (الحديث: 5189)، ومسلم في (الحديث: 6255) مطولاً.

بالله عليكم من أين نتعلم الذوق......!؟

تخيَّل .... ضحاكاً !!

وإليك هذا المثال واعذرني فإنه مثال في قلة الذوق...!!

تجده يدخل بيته بعد عمل مرهق ومواصلات متعبة... فيدخل البيت ولا يتحمل كلمة واحدة تقولها الزوجة... ثم يجلس ويمسك بالجرائد ثم ينام... فتعاني زوجته من هذا الأمر معاناة شديدة... ليس كل الرجال بهذا الحال... ولكن أوجه حديثي لمن يفعل ذلك وأقول له: هل أنت مشغول أكثر من النبي ﷺ ...!؟ تقول زوجات النبي ﷺ: كان النبي ﷺ في بيته هاشاً... باشاً وكان ضحاكاً في بيته... وكان يجلس معنا يحدثنا ونحدثه فإذا أُذِّنَ للصلاة كأنه لا يعرفنا ولا نعرفه.

سبحان الله .. !! هل تعرف ما معنى ضحاكاً...!؟

إن معناها: إنه يَضْحَك وَيُضْحِك ...نعم إنها من آداب وذوقيات الإسلام... وكان يحدث زوجاته ويحدثنه ولا يقول: «اتركيني وحدي أنا متعب طوال النهار».

كم من البيوت تهدم لغياب ذوقيات الإسلام...

حقاً... إن الدنيا في أشد الاحتياج للإسلام

تزيَّن وتعلَّم من حبر الأمة....!!

كل الأزواج يحبون أن تكون زوجاتهم دائماً متزينات لهم... إنه يريدها دائماً ملكة جمال الكون .... دائماً يراها على أكمل وجه، هكذا يريد أن يرى زوجته...

ولكن أن يُزيِّن هو نفسه لزوجته... مستحيل... لا يهم عنده إن كان محافظاً على أناقته وعلى شكله ومظهره العام....

وإليك حبر الأمة عبد الله بن عباس الذي دعا له النبي ﷺ وقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ»[1] فهو من أعلم الصحابة ومنه يُؤخذ العلم.

يقول: «إني أحب أن أتزين لزوجتي كما أحب أن تتزين هي لي».

إنها والله لكلمات شديدة التأثير في الحس المرهف، وإنها لذوقيات غاية في الرقي والتحضُّر.

وإنه لفهم عالٍ لهذا الإسلام العظيم.

---

(1) رواه البخاري في (الحديث: 143)، ومسلم في (الحديث: 6318)، والإمام أحمد في (الحديث: 1/ 266).

«وقدموا لأنفسكم»

وتخيّلوا هذه .. لقد اخترق الذوق الإسلامي كل الحدود وتطرّق لأدق التفاصيل ....!! حتى وصل إلى... المعاشرة الزوجية بين الرجل والمرأة... تخيّلوا... وصل إلى فراش الزوجية.

يقول تعالى:

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾[1].

ما معنى: قدموا لأنفسكم؟

خُذ المعنى من حديث النبي ﷺ يقول: **«لاَ يَقَع أَحَدكم عَلَى زَوْجَتِه كَمَا تَقَع بَهِيمة عَلَى بَهِيمة، وَلَكِنْ يَبْدأ بِالْمُلاَطَفة وَالْمُدَاعبة»**[2].

يا الله .. دين يتناول جميع مظاهر الحياة .... بكل ذوق وعفّة ورقي وجمال....

والله ما ينقص هذا الدين الا ان يتمثل في اشخاص تتحرك به وعندئذ سترى الأمن والأمان والسلام والحب والعفة والطهارة والحضارة والرقي والتقدم.

---

(1) سورة: البقرة، الآية: 223.

(2) رواه ابن عساكر في «مختصر تاريخ دمشق» (2/ 52)، والزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (5/ 372).

أيُّ ذوق هذا...!!

من ذوقيات الإسلام التي علمها لنا النبي ﷺ أنك لا تدخل بيتك إلا بعد أن تدق الجرس رغم أن المفتاح معك.

وتنتظر لحظات ثم تفتح الباب وتدخل!! يا الله... أيُّ أدب وأيُّ ذوق هذا.

أخشى أن تقول لي: انها مثالية زائدة.

لا والله انها بسيطة جداً ولكنك لم تتعود.

ولكن ما الحكمة من هذا الفعل؟

أولاً: لتعطي زوجتك الوقت كي تتهيأ لك.... فتسعد بها وتأنس... وهكذا تكون عوناً لها على تطبيق الحديث: «**إِذَا نَظَرَ إِلَيها سَرَّتْه**»(1).

وتخيَّل لو أنك لم تعط لها الفرصة لتحسّن من شكلها ورائحتها نبدلك: من «سرته» ستكون: «صرعته» !!!

ثانياً: لأن طبيعة بعض الرجال هي تخوين زوجاتهم، فأراد النبي ﷺ أن يمحو من قلبك هذا المرض فلا يصح أبداً أن يتعامل الزوج مع زوجته هكذا، فلا بد أن يعطيها دائماً الأمان.

---

(1) رواه أبو داودفي (الحديث: 1664) مطولاً، وابن ماجه في (الحديث: 1853) مطولاً.

حقاً... ابذروا الحب تحصدوا الحب.

هيا نتعلم طريقة المشي !!

والآن سنترك البيت بمن فيه وسنتجه إلى الشارع... وإذا نظرنا إلى الشارع سنرى إهداراً لذوقياته، فلقد علمونا وربونا على ألا نتسكع في مشيتنا... وهذا كلام طيب أمرنا به الإسلام... وانظر إلى النبي ﷺ الذي كان إذا مشى أسرع دون الجري... نعم مشية كلها أدب ووقار.

يقول تعالى:

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[1].

والآن... هل تعلمت طريقة المشي أم أنك ما زلت تمشي مشيتك المعتادة !!

سبحان الله تجد العجب العجاب في مشي الناس !!

«أكثرهم لا يعقلون»

ومن الذوقيات المفقودة في الشارع تلك الأصوات المزعجة لآلات التنبيه التي يتفاخر بها أصحاب السيارات صغيراً وكبيراً، فتجده يقف أسفل البيت وبدلاً من أن يصعد، يريح

(1) سورة: الفرقان، الآية: 63.

نفسه ويتعب الآخرين باستخدام آلة التنبيه.... فيأتي الإسلام ويرد للشارع ذوقياته المفقودة.

يقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾(1)

نعم... إن الآية تتحدث عن النبي ﷺ ولكنها تنظم وتهذب سلوكيات الناس.

ان من حق الناس عليكم الا تزعجهم فمنهم النائم.. ومنهم الطالب... ومنهم المريض .. ومنهم الذي يصلي... اعلم أن الشارع ليس ملكك وحدك.

«فافسحوا يفسح الله لكم»

ومن التصرفات العجيبة .... أنك تجد السائق لا يسمح للسيارة التي خلفه أن تتعداه... وإذا سألته ما السبب لفعلك هذا فلن تجد سبباً، والأدهى من ذلك أنها أصبحت عملية لا شعورية من كثرة ما تعود على ذلك...

ولكن الإسلام يعلمك الذوق في هذه المواقف.

يقول تعالى:

---

(1) سورة: الحجرات، الآيتان: 4، 5.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾[1].

افسحوا ليس في المجالس فقط، ولكن في الطرق... افسحوا يفسح الله لكم... من قلة الذوق أنك تضيّق الطريق على الناس، يقول عمر بن الخطاب ﵁: «ثلاث يصفينَّ لك ود أخيك»... منهم «وأن تفسح له في المجلس».

وإليك هذا الموقف الجميل...

بينما كان يجلس النبي ﷺ في المسجد إذ جاء رجل من الأعراب فتزحزح له النبي ﷺ (بالرغم من أن المسجد لم يكن ممتلئاً) فقال الأعرابي: يا رسول الله لِمَ تزحزحت؟ إن في المسجد سعة فقال له النبي ﷺ: **«حق على كل مسلم إذا جاء أخوه أن يتزحزح له»**.

من يقول بعد هذا: خذوا الذوق وتعلّموه من الحضارة الغربية ؟! من يقول بعد ذلك: ان الإسلام دين لا يحترم الآداب ولا يأبه للذوق ...؟!

ومن أحق الأماكن التي من الذوق أن تفسح لأخيك فيها... في العزاء... وانظر إلى ما يحدث في هذه الأيام: تجد الكل يجلس في العزاء... وحين يدخل شخص تجد كل الجالسين قد صوّبوا أنظارهم إليه... فكان الله في عونه وكأن لسان حاله: «انشقي يا أرض وابتلعيني»... وانظر إلى رجل

(1) سورة: المجادلة، الآية: 11.

من الجالسين يقوم ثم يأخذ بيد هذا الرجل ويجلسه»

سبحان الله وكان هذه الذوقيات والآداب الإسلامية تم أطواق نجاة لكثير من الغرقى في بحر الحياة... هيا طبّق هنا... لقد بدأنا بالسيارات وكذلك المجلس وفي الجنازة وينطبق ذلك أيضاً على مدرج الجامعة...

إماطة الأذى عن الطريق صدقة

هل من الأدب ومن الذوق إلقاء القمامة في الشارع؟ ينظر يميناً وشمالاً ويقول في نفسه: هل يراني أحد؟ ويبدأ يختلس النظرات كالذي سرق شيئاً ثم يلقي بالقمامة.

يقول النبي ﷺ: « **إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**»[1] فما بالنا بمن يُلقي الأذى في الطريق ....!! يقول النبي ﷺ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً أَعْلاَهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**»[2]. ومعنى ذلك أن إماطة الأذى عن الطريق جزء من الإيمان.

(1) رواه مسلم في (الحديث: 1668)، وأبو داود في (الحديث: 1285) و(الحديث: 5244) مطولاً، والإمام أحمد في (الحديث: 2/ 316)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (الحديث: 3/ 47).

(2) رواه البخاري في (الحديث: 9)، ومسلم في (الحديث: 152)، وأبو داود في (الحديث: 4676)، والترمذي في (الحديث: 2614)، والنسائي في (الحديث: 5019) و(الحديث: 5020) مطولاً، وابن ماجه في (الحديث: 57) مطولاً، الإمام أحمد في (الحديث: 2/ 414) و(الحديث: 2/ 445).

وهنا دليل على أن الذوق من الإيمان... أما قلت لك أن الذوق خلق اسلامي صميم... أما قلت لك أن مرجعية الذوق هي الإسلام....

انا في اشد الحاجة لفهم اسلامنا فهماً صحيحاً.

لماذا لا يتديَّن الشباب... وديننا فيه كل شيء!؟

أيها الشاب... ستجد في دينك بغيتك...

إننا حينما نكون في الطريق الصحراوي ونلقي القمامة هناك لا نشعر بتأنيب الضمير... فهي صحراء...!!

ولكن النبي ﷺ يعلمنا الذوق والأدب والحضارة من 1400 عام عن طريق هذا الحديث الذي نحن في أشد الحاجه إليه... إنه حديث موجه إلينا... نحن جيل القرن الواحد والعشرين.

وانظر الى من يلقي بالقمامة في الشارع ...

وانظر الى من يبصق في الطريق وانظر الى من...!!!

أكرمكم الله... اين الذوق !؟

يكفيك هذا الحديث...!!

يقول النبي ﷺ: «إِنَّ المَلاَئِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو

آدَمَ»[1]، إن هذا الحديث يكفيك... إن فهمته وحاولت تطبيقه فهو بمثابة المؤشّر.

فالسجائر مثلاً يتأذّى منها بنو آدم وبالتالي تتأذى منها الملائكة.

الذي يبصق في الشارع يتأذى منه الناس وبالتالي فالملائكة تتأذى منه.

مفهوم جديد... مؤشر يدلنا ويرشدنا ونعرف من خلاله ان كنا مؤدبين في التعامل مع الناس ام لا.. فإنه ادب جم.. ادب التعامل مع الملائكة!! ايُّ ذوق وايُّ ادب هذا الذي يعلّمنا اياه الإسلام!

أدب هام وخاصة في هذه الأيام

يقولي النبيﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرقَاتِ، إِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ**»[2].

---

(1) رواه البخاري في (الحديث: 854)، ومسلم في (الحديث: 1254)، والترمذي في (الحديث: 1806)، والنسائي في (الحديث: 706)، وابن ماجه في (الحديث: 3365)، والإمام أحمد في (الحديث: 3/ 374).

(2) رواه البخاري في (الحديث: 2465) و(الحديث: 6229)، ومسلم في (الحديث: 5528) و(الحديث: 5613)، وأبو داود في (الحديث: 4815)، والإمام أحمد في (الحديثك 3/ 47).

وهناك رواية أخرى لهذا الحديث.

قال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ»، قالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بدّ نتحدث فيها، قال ﷺ: «فإذَا أَبَيْتُمْ إلاَّ المَجْلِسَ فَأعطُوا الطَّريق حقها»، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ».

يا الله... الإسلام يضع لك منهجاً .... برنامجاً .. للجلوس في الشارع مضطراً .. !! فلقد قالوا للنبي: «ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها».

والآن .. لقد وصلنا....!!

هل نسيت؟... اننا كنا في البيت ثم نزلنا الى الشارع...

والآن قد وصلنا الى البيت الذي سنزوره.

«حتى تستانسوا»

والآن . . . مع الذوق في الضيافة وسنعرف سنة النبي ﷺ وسترى أنها أدب وذوق وتحضر ورقي . . . كل هذا اسمه عندنا الإسلام . . . فالعبرة ليست بالأسماء إنما العبرة بالمسميات . . . بداية تجده يذهب بدون سابق ميعاد .

تقول: وماذا في ذلك انه صديقي .. انه أخي... اننا هنا نتكلم عن الذوق في المعاملة... نتكلم عن الأدب

الذي علّمه لنا الإسلام... والآن إليك كلام الله...

يقول الله ﷻ:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟﴾[1], ومعنى: ﴿تَسْتَأْنِسُوا۟﴾؛ أي: تتأكدوا أنهم مستعدون لاستقبالكم، وتستأنسوا في القرن الواحد والعشرين معناها: أن تتصل به تليفونياً وتأخذ منه ميعاداً. . . كلمة جميلة كلها ذوق. . . ﴿تَسْتَأْنِسُوا۟﴾ أيّ تضمن أنه سيأنس بك.

هناك أناس غاية في الذوق... تجده عند الاتصال تليفونياً ليأخذ موعداً... يكفيه سماع نبرة الصوت فهي المؤشر الذي يدفعه دفعاً للزيارة أو العكس.

أحياناً حينما تذهب دون موعد تجده يعتذر لك. . . أنه لن يستطيع أن يستقبلك، فتغضب غضباً شديداً وتقيم الدنيا ولا تقعدها. . . سبحان الله !! من الذوق ألا تغضب.

يقول تعالى:

﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ﴾[2].

أخي الحبيب إياك أن تغضب ...."هو أزكى لكم"

---

(1) سورة: النور، الآية: 27.

(2) سورة: النور، الآية: 28.

شرقوا أو غربوا ...!!

ومن السلوكيات غير الطيبة والبعيدة كل البعد عن الذوق. . . تجد مثلاً من يدق جرس الباب، ثم يقف في وجه الباب أمام العين السحرية، ويضع يديه الاثنين على الباب!! تخيَّل هذا المنظر. . . تربينا في البيت أن هذا عيب.

وانظر إلى أدب الإسلام . . . «لا تقفوا أمام الباب ولكن شرّقوا أو غرّبوا»[1].

قيمة إسلامية أخرى تضاف إلى رصيده الهائل...

الاستئذان ثلاثاً

يقول النبي ﷺ: «الاسْتِئْذَانُ ثَلاَثٌ فَإِنْ لَمْ يُؤْذَنْ لَكَ فَارْجِعْ»[2]. انظر إلى ذوق الإسلام. . . وبين كل مرة من المرات الثلاثة انتظر قليلاً حتى تعطي فرصة لمن بالداخل ليفتح لك، فربما يكون في الصلاة أو في الحمام أو . . . .

وما يحدث اليوم... «حدّث ولا حرج».... تجده يضع يده على جرس البيت ولا يُنْزِلها... أو تجده ينادي بأعلى صوته من أسفل ليسمعها الناس جميعاً... والكل يخرج له إلا من ينادي عليه !!!

واقرأ هذه الجملة: « فَإِنْ لَمْ يُؤْذَنْ لَكَ فَارْجِعْ»

(1) أخرجه الإمام أحمد في (الحديث: 5/ 421).

(2) رواه مسلم في (الحديث: 5598)، وأبو داود في (الحديث: 5181)، والترمذي في (الحديث: 2690).

انظر الى الذوق .. انه لم يقل لك ارجع ولكن فإن لم يؤذن لك فارجع... انها قمة الذوق... قمة الإحساس.

أنا .. أنا .. أنا

وحينما تدق جرس البيت... تجده يسأل: مَنْ بالباب؟ فيقول له: أنا. ثم يسأل مراراً وتكراراً وإجابته واحدة لا تتغير: أنا... من الأدب والذوق الذي علّمه لنا الإسلام أنه إذا سألك وقال: من؟ تقول له: اسمي كذا (....). جاء جابر بن عبد الله فيقول: طرقت باب النبي ﷺ فقال: «من؟»، فقلت: أنا... فسمعت النبي يقول من الداخل: «أنا .. أنا»، كأنه كرهها.

يا سبحان الله... اسلامنا يأخذ في الاعتبار كل صغيرة وكبيرة من ١٤٠٠ سنة، والذوق متأصل في أخلاق المسلمين... فهو موروث من موروثات المسلمين.

ما كان الرفق في شيء إلّا زانه

هناك من الناس صنف لا يراعي الآداب العامة، فتجده بعدما يدخل مكان... سواء كان بيتاً أو مصعداً أو...

يغلق الباب بشدة، فتارة يكسر الزجاج وتارة يفزع الناس...

يقول النبي ﷺ: «ما كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَمَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ»[1].

بالله عليك... اجعل هذا الحديث ديدنك.

فهو طريقك الى الذوق الرفيع.

كيف تفعل ذلك ..!؟

أحياناً يدعوك أحد أصدقائك لوجبة الغداء في يوم كذا، وفي هذا اليوم تذهب لصديقك ولكن ليس بمفردك !!

فتأخذ معك شخصاً آخر. . . فيصاب صاحب البيت بصدمة لهذا الفعل الذي لا يوصف إلا بأنه (. . .)

دعي النبي ﷺ هو وخمسة من الصحابة عند رجل من الأنصار، وأثناء ذهاب النبي ﷺ والخمسة إذا بصحابي آخر يتبعهم ويمشي معهم حتى وصلوا إلى البيت، فقال النبي ﷺ لصاحب البيت: «إِنَّ هَذَا تَبِعَنَا فَإِنْ شِئْتَ فَأْذَنْ لَهُ وَإِنْ شِئْتَ فَلْيَرْجِعْ»[2]، قال: بل آذن له يا رسول الله.

انه مرتف محرج وخاصة لصاحب البيت واهله .. فالطعام

---

(1) رواه الإمام أحمد في (الحديث: 6/ 206).

(2) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (الحديث: 7/ 265)، والطبراني في «المعجم الكبير» (الحديث: 17/ 198) و(الحديث: 17/ 199).

لعدد معين .. اذا زاد هذا العدد فما العمل !؟ ولكن انظر لأدب النبي ﷺ حتى لا يضع صاحب البيت في مازق وحرج، فبادره وشرح له الموقف وخيّره.

أين هذه الذوقيات بيننا الآن !؟

سيف الحياء....!!

البعض حينما يدخل بيت صديقه تجد عينيه تتحرك بسرعة الصاروخ تبحث عن التليفون... فإذا رآه يطلب من صديقه أن يتصل اتصالاً واحداً سريعاً... وهو يعلم أن صديقه لن يرفض طلبه... فكيف يرفض وقد أمسك بالتليفون فعلاً؟ ثم يبدأ الاتصال ...فيتصل بلندن مثلاً !! ويستمر الاتصال نصف ساعة!!

يقول النبي ﷺ: «مَا أُخِذَ بِسَيْفِ الحَيَاءِ فَهُوَ حَرَامٌ».

ومن يراعي حياء الناس الا من كان عنده ذوق؟ فتجده يرى القلم في جيب زميله ثم يقول له: انه قلم جميل (وانها لكلمة لها مغزى) فما على زميله الا ان يقول: تفضل!! فيأخذ منه القلم.

وبا للأسف... هناك اناس نالوا درجة استاذ في هذا الامر... اليهم نوجه حديث النبي : «مَا أُخِذَ بِسَيْفِ الحَيَاءِ فَهُوَ حَرَامٌ».

«فإذا طعمتم فانتشروا ...»

معظم الناس ينتابهم شيء من الكسل «والرحرحة» بعد الطعام. . . وهذا إلى حد ما مقبول في بيتك ولكن إذا كان في بيت صديق لك . . .!!

يقول الله تعالى:

﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾[1].

قرآن لنتعلم الذوق: ﴿فَٱنتَشِرُوا۟﴾.

وهناك قصة طريفة للإمام الشافعي. . . لقد جاء رجل ليزوره . . فمكث هذا الرجل وطال به الوقت. . . فكلما يطال به الوقت يذهب الإمام الشافعي فيأتي له بالطعام حتى يذهب. . . وهكذا وفي النهاية، قال الرجل للشافعي: أخشى أن أكون قد أثقلت عليك يا إمام، فقال له الإمام الشافعي: أنت ثقيل عليّ وأنت في بيتك!

رغم ان هذا الموقف يؤذي المشاعر الا أن الإمام الشافعي كان حريصاً على الا يؤذي مشاعر الرجل فلقد قالها بكل ذوق وادب... وهذه العبارة تؤخذ على معنين... وعلى الرجل ان يفهمها كيف يشاء.

(1) سورة: الأحزاب، الآية: 53.

أدب أبي أيوب الأنصاري

أحياناً ينزل الإنسان عند أقاربه ويمكث يوماً أو اثنين أو ثلاثة... ويستضيفه أهل البيت، وتتفنن الزوجة في الضيافة وتجتهد لترضي ربها أولاً ثم ترضي زوجها باستضافة أهله وإكرامهم... وتكون الطامة حينما يمكث الضيف أسبوعاً أو أكثر... فيصبح هذا الضيف ثقيلاً، فلقد كانوا يتحملون تصرفاته البعيدة عن الذوق... فما بالنا وقد مكث أسبوعاً...!!

وانظر إلى النبي ﷺ... فحينما هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة نزل ﷺ في بيت أبي أيوب الأنصاري، لحين بناء المسجد النبوي، وبناء بيت للنبي ﷺ... وكان بيت أبي أيوب يتكون من طابقين، فقال أبو أيوب: «يا نبي الله، بأبي وأمّي، إني لأكره وأُعظِم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فاظهر أنت فكن في العلوّ، وننزل نحن فنكون في السُّفل» هل تعرف لماذا فعل أبو أيوب ذلك، ولماذا كان هذا الاختيار؟

حتى لا تكن قدماه فوق النبي ﷺ... قمة في الذوق... قمة الأدب في التعامل مع النبي ﷺ... ولكن انظر إلى أدب النبي ﷺ وذوقه الرفيع... قال النبي ﷺ: **«يَا أَبَا أَيُّوب، إنَّ أَرْفَقَ بِنَا وَبِمَنْ يَغْشَانَا أَنْ نَكُونَ فِي سُفْلِ الْبَيْتِ»**[1]

---

(1) رواه ابن هشام في «السيرة النبوية» عن ابن إسحاق (2/ 498).

تصور لو أن النبي ﷺ فوق . . . والناس يتوافدون على النبيّ كل دقيقة. فهل يستطيع أبو أيوب وزوجته أن ينعموا بالراحة والهدوء . . !!)

حقاً... ان ابا ايوب قمة في الذوق وقمة في الادب مع رسول الله ﷺ . . . ولكن اين ذوقه وادبه من ذوق النبي ﷺ وادبه.... هل لاحظتم.... اننا الى الآن مازلنا نعيش مع بعض الذوقيات للنبي ﷺ وصحابته الكرام؟

وهذا من 1400 سنة... يا ترى كيف كان حال الغرب في هذه الايام؟... هل ما زلت تصدق ان الذوق والحضارة والرقي... قيم غربية...؟؟

الإحساس نعمة!!

بعض الناس حينما يكون في زيارة صديق له تجده يجلس حيث يشاء دون أن يجلسه صاحب البيت . . . . بل هناك أكثر من ذلك: حينما يقول صاحب البيت: اجلس هنا أفضل فيقول: لا أنا مستريح هنا !! سبحان الله . . ربما يكون بجلسته هذه كاشفاً للبيت فيؤذي مشاعر من فيه. . . فيبدأ صاحب البيت في رجائه. . . فهو حييٌ ولا يستطيع أن يصارحه بالموضوع، والآخر وكأن إحساسه في ثلاجة!! . . . حتى يصل صاحب البيت لحالة من القلق والتعب فيصارحه قائلاً: يا ليتك تنتقل من هذا المكان إلى هذا المكان. . . حتى تستطيع زوجتي

الحركة. . . وعندئذ يتحرك قائلاً: معذرة !!.

من السنة الا تجلس في بيت من تزوره الا في المكان الذي يجلس فيه... بل تحرص على الادب الشديد... فلا تجلس في مكان الا ان يؤذن لك .. انها والله آداب الإسلام، بقول النبي ﷺ: لا يجلس أحدكم على تكرمة (سرير) *الرجل إلا بإذنه*». . .

بالله عليك أيحب الناس الإنسان الذي تجتمع فيه هذه الذوقيات وهذه الآداب الإسلامية أم لا؟. . . أيكون إنساناً متحضراً أم لا؟. . . إن الحضارة ليست بالتكنولوجيا وأساليب العلم الحديثة فقط إنما الحضارة بالأدب والذوق والرقي الأخلاقي. . .

كان الله في عونك يا إمام ....!!

ومن الذوقيات الإسلامية عند عيادة المريض. . . ألاّ تطيل الزيارة. . . فمن الذوق أن تكون زيارة خفيفة إلا إذا كان المريض مستأنساً بك وسعيداً. . . وهناك قصة لطيفة للإمام أبي حنيفة.

فقد كان مريضاً، فعاده أربعة رجال. . . فكانت زيارتهم ثقيلة وأطالوا الجلوس والإمام مريض، فضاق بهم وتعب تعباً شديداً ومع ذلك فهم مازالوا يجلسون. . . فماذا فعل الإمام؟ قال لهم: قوموا فقد شفاني الله ﷻ. . !!

يا الله ...تخيّل الى هذا الحد؟! اخشى ان تكون من هؤلاء! ان الإسلام يعلمنا ويربينا على ان نراعي ظروف المريض، وحالته الصحية...

ولكن لمّاحاً... واعلم ان نبرة الصوت وابتسامة الوجه اشارات ..!! ولكل لبيب بالإشارة يفهم.

إسلامنا يعلمنا

وننتقل الآن إلى الذوق والأدب مع الجيران. . . يعلمنا الإسلام أننا إذا دخلنا البيت ومعنا فاكهة، أو طعام نادر تشتاق إليه العين. . . فرآه أحد الجيران سواء كان صغيراً أو كبيراً فلا بد أن تقدم لهم منه طالما انك لم تخبئه. . .

فإن أبيت. . . فعليك بإعطائهم منه بنفس راضية وبنية صافية.

وسبحان الله... بعض الناس يتعمد ان يُري جيرانه ما يحمل من طعام لذيذ او يتحدث عما في البيت من طعام طيب ولذيذ تفاخراً... هل هذا من الذوق الذي علّمنا اياه الإسلام ..؟!

ومن الذوقيات أيضاً التي علمنا إياها الإسلام ألاّ تُغْلي جدارك على جدار جارك إلاّ بإذنه . . فالبعض يبني ويعلي بيته دون أن يستأذن جاره متجاهلاً شعوره. . . فتجد الجار بعدما

كان سعيداً تراه حزيناً، فالبيت لم يعد يدخله الهواء، ولم تعد تدخل فيه الشمس.

لا أقول لا تبني... فمن حقك ان تبني وتعلي بيتك... ولكن راع شعور جارك وعليك باستئذانه ...فهذا الذوق يشعره بالاهتمام وعدم التجاهل .. وهو في كلتا الحالتين لن يستطيع الرفض... ولكن ايهما تفضل .. ؟!

الف باء... ذوق في المسجد

ومن الذوقيات والآداب التي علمها لنا الإسلام في المسجد وأصبحت من البديهيات: ألاّ تتخطى الرقاب، وأن تفسح لأخيك وتجلسه، وأن تحافظ على نظافة المسجد وعلى حرمته. . . .

انه بيت الله... احرص ان تكون فيه في قمة الذوق وقمة الادب... واول هذه الآداب الا تتخطى الرقاب.

المحمول تتاذى منه الملائكة ....!!

ومن الذوقيات المطلوبة في القرن الواحد والعشرين هذا الذوق: أن تغلق المحمول وأنت ذاهب إلى بيت الله، وهذا أمر هام، فأحياناً تكون في بيت الله وبعد مجاهدة تتلذذ بركعات مطمئنة وبأنس مع الله، وفجأة. . . تسمع صوت محمول!! . . . .

فيا لتعاستك في هذه اللحظة.....

يحدث ذلك أحياناً أليس كذلك ..؟ انني ادعو كل انسان أن يغلق جهازه المحمول حفاظاً عليه... بدلاً من لعنة المصلّين ودعائهم عليه!! فإنهم يتأذّون من صوت هذا المحمول وان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم.

الفهم أولاً

وإليك هذا الموقف الطريف البسيط فإن له دلالات عظيمة. . . أحياناً يتعوَّد الناس على أشياء لم يرد لها أصل في السنة، وحينما نريد أن نقومها يكون التقويم بشكل خاطىء. . . بشكل منفِّر . . . . وقف رجل كبير في الصلاة وكان بجواره شاب متدين. . . وبعدما انتهى الإمام. . . مدَّ الرجل الكبير يده لهذا الشاب، قائلاً: حرماً. . . فنظر إليه الشاب المتدين بتجهم وغلظة قائلاً: لم يرد في السنة حرماً ! فقال الرجل الكبير: وهل قلة الذوق هي التي وردت في السنة !!؟

سبحان الله .... ان موقف الرجل خطأ... فكلمتي: «حرماً وجمعاً» عادة تعوّد الناس عليها... لا أصل لها في الدين، ولكن لغياب الفهم... ولغياب التعامل مع الناس بالحكمة والموعظة الحسنة سيظل الرجل على موقفه بسبب هذا الشاب .

بالله عليك... افهم دينك. وتلطف مع الناس وتأدب في معاملتك معهم... فالذوق مفتاح القلوب.

وقفة

والآن... حان وقت الراحة، فاجعل لنفسك واحة تستظل بها وتتنسّم عبيرها... وتذكر وأنت في الواحة بعض الأشياء الضرورية... تذكر النفس الشفافة التي تفهم وقوعها في الخطأ بنظرة العين وابتسامة الوجه... وتذكر الأصناف الأربعة... وتذكر أن الذوق خلق إسلامي صميم... وتذكر أن مرجعية الذوق هي الإسلام... وتذكر ذوقيات وآداب النبي ﷺ وصحابته والتابعين....

وسَلْ نفسك: هل نقش الذوق الإسلامي في قلبي أم لا؟ هيَّا استكمل ما ينقصك من ذوقيات...

وبعد أن استرحت في هذه الواحة المباركة التي جمعت فكرك وأيقظت ذهنك... أين أنت من خلق الذوق؟

أوصيك الآن قبل الانطلاق بأن تكون لك نفس مضيئة وهمّة متوقدة.

هيا جدد نيتك وأيقظ همتك وأحسن زادك.

وهيا بنا نواصل ما بدأناه.

الذوق في الدعوة إلى الله... وهيا لنتعلم من الأطفال

وإليك هذه القصة التي ينبغي أن يدرسها كل من يدعو إلى الله ويجعلها دائماً نصب عينيه.

ذات يوم وجد الحسن والحسين سبطا النبي ﷺ ـ أيّ: حفيداه ﷺ ـ وجَدَا رجلاً لا يحسن الوضوء .. فماذا فعلا؟ انظر إلى فعلهما وتعلم الذوق في الدعوة إلى الله.

ذهبا إليه .. فقال الحسن: يا سيدي، أخي هذا يدَّعي أنه يتوضأ أحسن مني، وأنا أقسم أنني أتوضأ كما يتوضأ النبي ﷺ، فاحكم بيننا وانظر إلى وضوئه ووضوئي، ثم قل أينا يتوضأ كما يتوضأ النبي ﷺ.

فدخل الأول وتوضأ، وأسبغ الوضوء وأحسنه، ودخل الحسين وتوضأ مثل أخيه.

ما رأيك في تصرف الحسن والحسين !!

فقال الرجل: والله إني لا أجيد الوضوء كما تتوضآن.

تعلم الذوق والأدب الرفيع من الحسن الحسين... واقتد بهما تصل الى ما تريد بأرق والطف الأساليب.

شر البلية ما يضحك

تخيّل هذا الموقف... موقف لا يُعْقَل... لا يُصَدَّق.. وحاول أن يستوعبه عقلك...

بال رجل أعرابي في المسجد. . . نعم الكلمة صحيحة بال.

معروف مقدماً ماذا سيحدث لهذا الرجل!!

وبالفعل قام الصحابة وهمُّوا بإيذائه. . . ولكن النبي ﷺ باغتهم كما سيباغتنا الآن بهذه العبارة . . .

«دَعُوه حَتَّى يُكْمِل بَوْلَته»[1].

ولا عجب في ذلك ...فإذا عرف السبب بطُلَ العجب، تخيَّل أثناء بولته يجري وراءه الناس ليضربوه...

ماذا سيحدث .. !!؟

لمحة نتعلم فيها الذوق من النبي ﷺ رغم عظم الفعل إلا أنه لا بد من التفكير السديد...

وحقاً شر البليّة ما يضحك!

الرجل المناسب في المكان المناسب !!

كلنا يعرف قصة الأذان. . . فلقد رآه سيدنا زيد بن ثابت، وسيدنا عمر بن الخطاب في منامهما كرؤية. . . «لم ينزل سيدنا

(1) رواه البخاري في (الحديث : 6025)، ومسلم في (الحديث : 657)، والنسائي في (الحديث: 53)، وابن ماجه في (الحديث: 528)، والإمام أحمد في (الحديث: 2/ 229).

جبريل بالأذان».... فحينما حدثا النبي ﷺ بما رأيا... قال النبي ﷺ: «إنَّها لَرُؤيَا حَق»... ثم قال لزيد: «وَلكِنْ مُر بِهَا بِلالاً فَإِنَّه أَنْدَى مِنْكَ صَوْتاً»[1].

يا الله... انها قيمة جمالية... قيمة حضارية... لا نقول فلان يمتهن هذه المهنة، لأنه أقرب الى الله فحسب، ولكن نقول: فلان يمتهن هذه المهنة، لأنه أحق بها فهو المناسب لها... انها أساس من أساسيات النجاح لأي عمل... النبي ﷺ يرسي قاعدة هامة من قواعد الإدارة من ١٤٠٠ سنة، وهي: الرجل المناسب في المكان المناسب.

فخرج الآن المؤذنين يتباهون بأصواتهم جمالاً وإعجاباً استجابة لكلمة قالها النبي ﷺ من ١٤٠٠عام «فإنه أندى منك صوتاً».

هل اضعناك يا فتى...!؟

كان هناك شاب يسكن في جدار خلف الإمام أبي حنيفة... يشرب الخمر ويغني طوال الليل وهو سكران ويقول: أضاعوني وأيّ فتّى أضاعوا... كل يوم على هذا الحال... يقوم الإمام أبي حنيفة لصلاة الفجر فيزعجه هذا الشاب، فكان أبو حنيفة يتحيَّن الفرصة المناسبة التي يرق فيها

(1) رواه أبو داود في (الحديث: 499)، والترمذي في (الحديث: 189)، وابن ماجه في (الحديث: 706).

قلب هذا الشاب، وفي يوم من الأيام قام الإمام أبو حنيفة ليصلِّ الفجر، فلم يسمع صوت هذا الشاب، فسأل عنه فعرف أنه قد قبض عليه ..!! لأنه ضبط يشرب الخمر. . . فذهب إليه أبو حنيفة وقال: هلاَّ أفرجتم عنه لي. . . فقالوا: إنه شرب الخمر!! قال: أخرجوه من أجلي. . . فأخرجوه. . . فأخذه أبو حنيفة وجعله يركب خلفه على بغلته، ولم يتكلم معه كلمة واحدة. . . حتى وصل إلى البيت وحينها قال أبو حنيفة: هل أضعناك يا فتى:؟ فقال: لا والله ولا أعود إليها أبداً.

يا الله... انه يشرب الخمر !!؟ ولكن انظر الى نتيجة اللطف والذوق...

كثير من الشباب فِطْرتهم طيبة رغم كل ما يفعلونه، ولكنهم لم يجدوا أمثال أبي حنيفة الذي يتحيَّن الفرص ويتخيَّر الوقت ويفتح بمفتاح الذوق كل الأبواب المغلقة... او التي كنا نظنُّ أنها مغلقة !!.

وصفة سحرية ليكرهك الناس!!...

وبعد أن انتهينا من الذوق في الدعوة إلى الله، سننتقل إلى الذوق في الكلام مع الناس. . . وفيها من اللطائف الكثير والكثير. . . وأول الأشياء التي يقع فيها البعض هو المقاطعة وعدم سماع آراء الآخرين. . . وهذه الأشياء تدل على قلة الذوق.

ولذلك... اذا أردت ان يكرهك الناس فعليك بمقاطعتهم وعدم اعطائهم الفرصة ليعبروا عن وجهة نظرهم... وكلما عرضوا فكرة فقل لهم انها خطا عندي افضل منها... دائماً أوجد عندهم احساساً بانهم لا يفهمون، دائماً عليك بتوبيخهم... اذا فعلت هذا سيكرهك الناس... فما رأيك؟

افرغت يا أبا الوليد...!؟

لقد ذكرنا منذ قليل أشياء... إن فعلتها يكرهك الناس...

والآن حان الأوان لتتعلم من نبيك ﷺ كيف يحبك الناس ويقدرونك... وإنها والله لكلمات تدرس ليتعلم الناس فن الكلام وأسلوب الحوار.

جاء عقبة بن ربيعة ممثلاً للكفار، وكان سيداً فيهم، فجلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن اخي اسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها، لعلك تقبل بعضها، فقال ﷺ: «**قل يا أبا الوليد، أسمع**». قال: يا ابن اخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ...!!، وإن كنت تريد به ملكاً، ملكناك علينا...!! وان كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه ولا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب.

انها اختيارات سخيفة... مالاً، ملكاً، مداواة من مرض...

ولكن انظر الى ذوق وأدب النبي فبداه بكنيته (أبا الوليد) .. من باب التلطف ولين الجانب ثم قال له: «قل يا أبا الوليد اسمع» .. فلم يقاطعه النبي وبعد ان انهى عتبة كلامه...

قال النبي ﷺ: «أفرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم.

ومعناها في القرن الواحد والعشرين: (انتهيت حضرتك).

ثم قال ﷺ: «**فاسمع مني**»، قال: أفعل، فقال ﷺ:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿حمٓ * تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ . . .﴾[1].

حتى وصل الرسول ﷺ إلى قوله تعالى:

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[2].

فقام عتبة مذعوراً، فوضع يده على فم النبي ﷺ، يقول: أنشدك الله والرحم. . . وذلك مخافة أن يقع النذير.

فسكت النبي ﷺ.

هكذا علّمنا الإسلام أدب الحوار مع كل الناس... وانظر

---

(1) سورة: فصلت، الآيات: 1 ـ 4.
(2) سورة: فصلت، الآية: 13.

الى أدب الحوار بين النبي ﷺ وعتبه بن ربيعة الكافر...!!

اننا نحتاج لهذا الادب في هذه الأيام... فبعض الناس يخرج من فمه كلمات مثل الحجارة .... تجرح المستمع...

ايتها الحضارة الغربية آن لك ان تاخذي الذوق وأدب الحوار من الإسلام... لقد آذنًا لك.

نغبطك يا عداس ...!!

أما الآن فإليك هذه الهدية... ستجد فيها بغيتك... سترتوي بها من ظمأ قد طال... ستغمرك ذوقاً وأدباً... دعوة وعلماً... يا من تعب واجتهد وحاول ليكون داعياً إلى الله، إليك هذا النموذج الفريد في الدعوة إلى الله... وتخيَّل من يعلمك... إنه النبي ﷺ....

أراك قد ازددت شوقاً لمعرفة هذا النموذج فهيا... «اللهم إنا نسألك فهم النبيين»... كلنا يعرف ما حدث للنبي ﷺ يوم الطائف... فلقد تبعه السفهاء والعبيد يسبونه ويصيحون به، وجعلوا يرمونه بالحجارة وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه، حتى اختضب نعلاه بالدماء، وكان زيد بن حارثه يقيه بنفسه حتى أصابه شج في رأسه، ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، فلما التجأ إليه رجعوا عنه، وأتى رسول الله ﷺ إلى حبلة من عنب (بستان) فجلس تحت ظلها... فلما رآه ابنا ربيعة تحركت له رحمهما...

فبعثوا إليه غلاماً لهما نصرانياً يقال له: عداس، قالا له: خذ قطفاً من هذا العنب واذهب به إلى هذا الرجل.

ثم دار هذا الحوار...

فلما وضع قطف العنب بين يدي النبي ﷺ مدّ يده.

وقال: «باسم الله» ثم أكل.

فقال عداس: إن هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد.

فقال ﷺ: «ما اسمك؟».

فقال: اسمي عداس.

فقال ﷺ: «من أي البلاد أنت يا عداس؟»

فقال عداس: من نينوى.

فقال ﷺ: «من بلد الرجل الصالح يونس بن متى!!»

فقال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟

فقال ﷺ: «ذلك أخي كان نبيًا وأنا نبي».

فأكبَّ عداس على رأس رسول الله ﷺ ويديه ورجليه يقبلها.

هيا بنا نحلل هذا الحوار ونتدارسه ونتعلم منه... ثم نعرف السبب الذي جعل عداساً يهوي الى قدمي النبي يقبلهما.

أولاً : كان أول كلام النبي ﷺ : «بسم الله» وهكذا يكون الداعية، دائما تظهر كلمات الإيمان على شفتيه. . . يعلنها دائماً ويرفع للحق راية في كل مكان وفي كل موقف.

ثانياً : سأله النبي ﷺ عن اسمه . . . وهذه من أهم الدروس في الدعوة إلى الله. . . ومعرفة الاسم هي كلمة السر ليحبك الناس.

ثالثاً : استخدم النبي ﷺ الاسم فقال : « من أيِّ البلاد أنت يا عداس؟» واستخدامه للاسم حتى لا ينساه. . . أراك تضحك. . . فأحياناً تتعرف على أحد الأشخاص وتقول له: ما اسمك؟ فيقول لك: اسمي: أحمد، وبعد دقيقة واحدة تقول له: والله يا محمد أنا سعيد جداً برؤيتك !! فيقول لك: اسمي أحمد. . . فتقول له: معذرة لم أركز. . . وحينما يهم بالمشي تقول له: مع السلامة يا. . . .! إنك نسيت الاسم، ولكن تعلَّم من النبي واستخدم الاسم قبل أن تنساه.

رابعاً : سأله النبي ﷺ عن بلده فحينما قال : من نينوى، قال ﷺ: «بلد الرجل الصالح يونس بن متى» وجاء باسم الأب لمزيد من التأثير. . . طالما تعرف فيها أحد الأشخاص أخبره به فهي تزيد الود وتُذهب الجفاء وتدعو إلى التبسيط.

خامساً : لمسة ذوقية راقية حينما قال ﷺ : « ذلك أخي كان نبيًا وأنا نبي» تشعر بأن كلمة «أخي» كلها رحمة وود

وألفة. . . وانظر إلى أدب النبي ﷺ حينما قدم سيدنا يونس بداية وقال: «كان نبيًا وأنا نبي».

حقاً تعارفوا تآلفوا... ان هذا الحوار الذي لم يدم الا لحظات قليلة... قد صار عشرة طويلة... وكان هذا السبب الذي جعل عداساً يهوي الى قدمي النبي يقبلهما...

إنجليزية اسلمت بسبب الذوق الإسلامي

«علمنا النبي ﷺ. . . حينما نكون ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث، فإن ذلك يؤذيه» أوجه الكلام للنساء خاصة. . . فإن كن أكثر من ثلاثة فلا مانع من التناجي. لقد تخرجتُ من كلية التجارة جامعة القاهرة عام 88 ثم سافرت إلى إنجلترا لمدة عام، وكنت أعمل في هذه السنة أنا وبعض الأصدقاء. . . وكان في ذلك المكان امرأة انجليزية.

فأسلمت هذه المرأة، وكان لإسلامها قصة. . . إننا بقياسنا على حديث التناجي نقول: إنه لا يجوز أن يتحدث اثنان بلغة ولتكن الفرنسية مثلاً، وهناك شخص آخر يتحدث الإنجليزية ولا يفهم الفرنسية، فهذا منهيٌّ عنه بالقياس. . . ولنرجع إلى قصة الفتاة الإنجليزية، فلقد كان صديقاي يتحدثان العربية والإنجليزية. . . فكانا يتحدثان العربية طالما كانا بمفردهما وحينما تأتي الفتاة الإنجليزية يتحوّلان إلى الإنجليزية. . . حدث هذا عدة مرات. . . فتعجبت الفتاة من ذلك الفعل أيما تعجب،

فأرادت أن تستفسر وتعرف السبب... فقالا لها: نهانا نبينا أن نتحدث سوياً بلغة لا يفهمها ثالثنا... فما كان منها إلا أن قالت باللغة الإنجليزية ما معناه: «نبيكم هنا حضاري جداً» وأسلمت هذه الفتاة بعد ستة أشهر، وكان من كلامها: «أول شيء وقع في قلبي هو ذوق الإسلام في التعامل مع الآخرين».

احبتي الكرام .. اسلامنا عظيم... اسلامنا جميل... ليس العيب في الإسلام... انما العيب فينا نحن.

انهم اسلامك وعش به ينصلح الكون من حولك فإن الدنيا تحتاج للإسلام... فهل انت ممن يحمله لهذه الدنيا...؟ اشعر بك تقول: نعم احب ان اكون من هؤلاء... اخي الحبيب... ان لكل قول حقيقة!!!

أدب جم...

ومن الذوقيات في الكلام... أن لسانك دائماً يكون طاهراً لا ينطق بالإساءة وإن كنت مازحاً ...!!

إليك هذا الموقف...

كان أحد التابعين يسير هو وابنه الصغير في الطريق... فرأى الولد كلباً يمر... فقال: امض يا كلب يا ابن كلب، فقال له أبوه: إياك أن تقول هذا.

فقال الابن: لمَ يا أبت؟ هو كلب وابن كلب.

فقال الأب: يا بني. . . أنت قلتها للتحقير لا للإثبات ولا ينبغي أن يخرج من فمك هذا.

ما هذا!؟ انها تربية عظيمة، وادب جم... هيا نتعاهد من الآن ألا يخرج من فمنا كلمة واحدة تؤذي المشاعر وان كانت صحيحة.

نحن تعود على الألفاظ المهذبة مستحيل ان يلحها لغيرها .... يروى أن احد الصالحين كان يمشي هو واصحابه فوجدوا خنزيراً ميتاً وله رائحة نتنة واصبح شكله لا يطاق فاخذ كل واحد منهم ينال منه بلسانه... يا لقذارته...يا لنتانته...

ولكنه قال: يا لبياض اسنانه!.

فتعجبوا من صنيعه فقال لهم ما معناه: لم يتعود لساني على القبيح.

نسمات من آيات

إننا نريد أن نخرج من خلق الذوق بشيء هام جداً. . . ألا وهو عدم إيذاء شعور الآخرين أياً كان الفعل، فلقد كان النبي ﷺ إذا أنكر فعلاً من إنسانٍ، لم يذكر اسمه صراحة،بل تجده يقول: «**ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا**».

ولا يصرّح حفاظاً على شعور الآخرين، فهذا من قمة

الذوق، فلتكن من الآن لماحاً... تفهمها وهي طائرة كما يقولون، إذا أحسست أن الكلمة التي ستقولها ستضايق من أمامك، فلا تقلها.

عش معي هذه الآيات الآتية، وانظر إلى الذوق وأدب الحديث والحفاظ على شعور الآخرين، وكيف حفظها الله في قرآنه إلى اليوم وإلى قيام الساعة.

كلنا يعرف قصة سيدنا يوسف، وكم من الابتلاءات التي تعرَّض لها وأولها كان تآمر إخوته على قتله.

يقول تعالى:

﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾[1] سبحان الله... !! إنه أمر عجيب، كان من الأولى (لا نتألّى على الله ولا نعدل ولكن نبين الإعجاز والذوق والأدب)...

أن يقول: «وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن والجب»

فلماذا لم يذكر إلا السجن؟

وهنا لأن اخوته أمامه فلو قال ذلك سيؤذي

(1) سورة: يوسف، الآية: 100.

مشاعرهم... ويشكر الله ويحمده على أن أخرجه من الجب في سره لا أمام أخوته... يا الله!! ذوق رفيع وأدب عظيم نتعلمه من القرآن.

ثم قال: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾(1). سبحان الله... كلمة كلها ذوق ومراعاة لشعور الآخرين... لقد كانوا في مجاعة عظيمة... فساءت أحوالهم في هذه المجاعة أيما إساءة ورغم ذلك تلطف وقال: وجاء بكم من البدو.

تكملة الآيات: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾(1).

كيف ذلك ..!؟ لقد نزغ الشيطان بين أخوته... ولكن سيدنا يوسف لم يُرد أن يجرح مشاعرهم ويجدها الشيطان فرصة أخرى... فقال: ﴿بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾ انظر أيها الصديق لما يحدث اليوم... تراها تتعمد ايذاء جارتها بكلام جارح... تراه يمنّ على غيره بكلمات تكاد تكون قاتلة...

نريد أمثالك اليوم يا صديق....

أمرنا أن ننزل الناس منازلهم

ومن تطبيقات خُلُق الذوق... الذوق والأدب مع

(1) سورة: يوسف، الآية: 100.

أصحاب المراكز العليا أمثال: أستاذ الجامعة، أستاذ المدرسة، الأب، فمن السُنَّة أن تنزل الناس منازلهم إلا في، حالة الحرب، وتعلم من النبي ﷺ.

يبعث برسالة لكسرى ملك الفرس الذي يسجد للنار.

فيقول له: «**من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس**».

ويبعث إلى هرقل ملك الروم...

فيقول له: «**من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم**»[1].

يا الله... كيف ذلك إنهم كفار؟...

إن الأخلاق عندنا لا تتجزأ... إننا نعامل الناس بأخلاقنا لا بأخلاقهم... إياك أن تقول لأستاذك: «أنت» لقد خالفت النبي بفعلك هذا... قل: «حضرتك»... نريد بأخلاق الإسلام أن تحدث طفرة في مجتمعاتنا... وينتشر الذوق والأدب الرفيع انتشاراً كبيراً... ولن يحدث ذلك إلا بذوقك أنت وبأدبك أنت... إننا لن نستورد أناساً من الخارج لنعلمهم الأدب والذوق الإسلامي ثم يتمثل فيهم.

---

(1) رواه البزار في «مسنده» (الحديث: 2374).

هل تفهم كلامي.. !؟ هيا اعلنها وقل:

أنا لها... أنا لها.

أدب العباس:

من الذوقيات الهامة .... الذوق والأدب مع أصحاب الفضل عليك... وكفاك تقليداً وعدم احترام لمعلمك!!... إن ما تفعله ليس من أخلاق الإسلام... أشعر بك تقول: المدرس هو السبب ...!! هو الذي أعطانا هذه الفرصة..!!

إن كان كلامك صحيحاً فالعبء عليك أثقل، والمجهود مضاعف، ولن يأخذ كلامي هذا بقوة إلا من أحبَّ دينه، وضحى في سبيله بالغالي والرخيص وقال لنفسه: إن أردتِ أن توقفيني عن طريق الله فسأتركك وأسير إلى الله !!

كل من كان له فضل عليك... كان له حق عليك، وأول هذه الحقوق أن تتأدب معه، وانظر إلى أدب العباس فمن المعروف أن العباس أكبر سناً من النبي ﷺ.

فحينما سئل العباس: أأنت أكبر أم رسول الله ؟

فقال كلمات رقيقة... كلها أدب وذوق وحب...

قال: هو أكبر مني وأنا ولدت قبله.

ومن يفعلها سواك يا أبا بكر

حينما هاجر النبي ﷺ هو وسيدنا أبو بكر انتظره الأنصار

على مشارف المدينة. . . ولم يكن الأنصار يعرفون النبي ﷺ، فرأوا راحلتين قادمتين، وكان سيدنا أبو بكر الصديق هو المتقدم؛ لأنه كان خائفاً على النبي ﷺ فكان يحميه فظن الأنصار أن الرسول هو أبو بكر الصديق فأسرعوا نحو ناقة أبي بكر وأخذوا أخطامها.

إنه موقف محرج. . . كيف تصرفْتَ فيه ـ أبا بكر؟ هل قلتَ لهم: لست أنا برسول الله إنني أبو بكر؟ فإنك لو قلت هذا لما كانت لطيفة. . . فماذا فعلت يا أبا بكر!؟

لقد خلع رداءه وأظلّ به رأس النبي ﷺ فكانت لمحة طيبة وذوقاً رفيعاً فعرف الأنصار أنه ليس برسول الله ﷺ وأسرعوا إلى النبي ﷺ.

حقاً ... انه ابو بكر الصديق .

ادب الإمام الشافعي !!

أحيانا يزول حاجز الاحترام بينك وبين مدرسك وخاصة حينما يعطيك درساً خصوصياً. ولكن انظر إلى الإمام الشافعي وكيف كان يتأدب مع أستاذه يقول: «لا أستطيع أن أقلب الورق بصوت مرتفع بين يدي أستاذي كي لا أزعجه، ولا أستطيع أن أشرب الماء أمام أستاذي إجلالاً له».

قس نفسك على هذا الكلام.

ووالله اننا نحتاج اليوم لأمثالك أيها الإمام الشافعي.

وتخيَّل معي لو كان الإمام الشافعي بيننا الآن...

ونظر الى ما يحدث بين الطالب والمعلم...

ماذا كان يفعل؟

إن الله يحب الصمت في ثلاث ....!

سبحان الله... تجد العجب العجاب في الجنائز... فتجد زوجة المتوفي تبكي بكاء شديداً... وبقية النساء وكأنما وجدن حفلة كلام، فتجدهن يتكلمن ويتكلمن، وسبحان الله... كلامهن لا ينتهي وعندهن قدرة غير عادية في تناول الموضوعات المختلفة، وقدرة غير عادية في إيجاد مواضيع جديدة.

وكذلك حال الرجال ولكن ليس بقدرة النساء. فلقد تفوَّقن على الرجال في ذلك.

يقول النبي ﷺ: «**إن الله يحب الصمت في ثلاث: (١) عند الزحف (٢) عند تلاوة القرآن (٣) عند تشييع الجنائز**».

فثلاث مواضع يحب الله فيهم الصمت منها: عند تشييع الجنائز.

بالله عليكم.. راعوا شعور أهل الميت .

التوازن والاعتدال

وأخيراً. . . من الذوق في التعامل مع الناس نقطتان:

الأولى: أن المبالغة في الذوق من قلة الذوق.

بمعنى: ألا تتكلف في الذوق. . . فمثلاً عند عيادتك للمريض قلنا لا تطيل إلا إذا أذن لك أو كان يأنس بك فيطلب منك أن تجلس، ويقسم عليك.

فلا تبالغ في الذوق وتقول: لقد علمونا ألا نطيل على المريض، أنا عندي ذوق. . . المريض يقسم عليك، وأنت مُصر. . . إن المبالغة في الذوق من قلة الذوق ولتعلم المطلوب. . . إليك هذه المقولة للإمام الشافعي:

يقول: «أثقل إخواني على قلبي من يتكلف لي وأتكلف له وأحب إخواني إلى قلبي من أكون معه كما أكون وحدي»

الثانية: أن المبالغة في الجدية من قلة الذوق أيضاً. .

فعدم الضحك والمبالغة في ذلك ليس من الذوق في شيء. . . إياك أن تفهم أن عدم الضحك من الذوق.

لابد للإنسان أن يفهم دينه فهماً صحيحاً. . . لا إفراط ولا تفريط.

الأدب مع الله

عليك بصيانة ثلاث....

وأخيراً... الأدب مع الله، فلقد انتهينا من الأدب مع الخلق في البيت وفي الشارع وعند من نزورهم وفي المناسبات...

والأدب مع الله يكون بثلاثة أشياء...

الأولى: صيانة فكرك.

وصيانته بألا تلحق بالله أيّ نقيصة، فهذا ليس بأدب مع الله.

الثانية: صيانة قلبك.

وصيانته بألا يلتفت لغير الله... صيانته بأن تجعله عامراً بحب الله... فإنه ليس من الأدب مع الله أن تقف في الصلاة وقلبك معلق بأحد غيره.

الثالثة: صيانة أفعالك.

وصيانتها بألا تفعل شيئاً يغضب الله ﷻ... فإياك أن تنظر لامرأة لا تحل لك... إياك أن تصاحب فتاة... إياك أن تترك صلاة... فمن يفعل ذلك فليس بالمؤدب مع الله.

يقول العلماء: «من تأدب بهذه الثلاث ـ فِكْرَهُ ينزه الله

وقلبه مع الله وأفعاله ترضي الله ـ فهو من أهل محبة الله ﷻ».

نبي الله عيسى والأدب مع الله

إليك هذه الآيات. . . اقرأها بقلبك.

يقول تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1].

ماذا كان رد سيدنا عيسى؟. . هل قال: لا لم أقل يا رب. . . لا . . لقد قال: ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[2].

انظروا... انه أدب في التعامل مع الله... كلمات يملؤها الأدب الجم مع الله ﷻ.

اقرأ الآيات مرة أخرى وركز في ردود سيدنا عيسى.

(1) سورة: المائدة، الآية: 116.
(2) سورة: المائدة، الآيتان: 116، 117.

وكأنك تقرأ الآيات لأول مرة ...!!

وإليك الآن سورة الكهف... إننا نقرأها كثيراً ولكننا لم نلاحظ فيها هذا الأدب مع الله ﷻ... أراك تتعجب من هذا الكلام... في قصة موسى والخضر... الخضر فعل ثلاثة أمور.

الأول: كسر السفينة.

الثاني: قتل الغلام.

الثالث: بناء الجدار.

الأولى والثانية ظاهرها شر، والثالثة ظاهرها خير، ولذلك من أدبه حينما تكلم عن الأولى والثانية قال: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ﴾[1]، ولم يقل: أراد الله.

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾[2]، ولم يقل فخشي الله .

ولكنه حينما تعرض للثالثة قال:

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ

(1) سورة: الكهف، الآية: 79.
(2) سورة: الكهف، الآية: 80.

﴿كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾[1]، ولم يقل: فأردت.

ما رأيك في هذا الأدب؟... هل صدقتني حينما قلت لك: وكأنك تقرأ الآيات لأول مرة.

والآن وبعد هذا الفهم اعتقد أنك لن تخطئ في حفظ هذه الآيات اليس كذلك...!؟

اخشى الا تكون واعياً لسورة الكهف.

من أسوا الناس أدباً مع الله؟

أراك قد عرفتهم من أول وهلة... نعم إنهم اليهود، لقد قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[2].

انظر الى سوء الأدب مع الله .. تصل بهم الدرجة أن يقولوا هذا على الله.

وقالوا أيضاً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[3].

حاشا لله... انهم والله أسوا خلق الله.

(1) سورة: الكهف، الآية: 82.
(2) سورة: المائدة، الآية: 64.
(3) سورة: آل عمران، الآية: 181.

فلقد لعنهم الله لسوء أدبهم واجترائهم عليه.

ونحن أيضاً متفاوتون في الأدب مع الله. . . إياك أن تشعر بأني أقارن أو أشبه المسلمين باليهود. ولكن افهم، وركز في الكلمات. . . أقول متفاوتون في الأدب مع الله. . . افهم حفظك الله.

فمنا من يترك المعاصي أدباً مع الله. . . ومنا من يتجمل ويلبس أفخر الثياب، ويضع أفضل العطور عند صلاته بالليل والناس نيام. . . فإنه سيلقى الله فمن أدبه يفعل ذلك.

ومنا من يستاك قبل كل صلاة أدباً مع الله حتى يقابله نظيف الفم، طيب الرائحة.

ومنا من إذا سمع الأذان توقف عما يفعل، وسمع وردد الأذان تعظيماً لشعائر الله.

ومنا من إذا سمع القرآن أنصت وأطرق.

ومنا من يفعل كذا وكذا وكذا....

وكلٌّ منا له حال مع الله.

ولله المثل الأعلى

إليك هذا المثال . . .

لو أن هناك ملكاً طلب مقابلة فرد من الرعية . . .

فمن يسمح له بالمقابلة؟ هل لفرد قليل الأدب أم يسمح لفرد شديد الأدب؟ . . . ولله المثل الأعلى.

ان الله يدخل عباده عليه على قدر أدبهم معه.

انها لكلمات تؤثر في القلب أيما تاثير.. وتدمع لها العين... فمن منا لا يحب ان يكون مؤدباً مع ربه حريصاً على ارضائه؟ اللهم ارزقنا حساسية النفس المؤمنة.

أدبني ربي فاحسن تاديبي

من هو أكثر الناس أدباً مع الله ؟

إنه نبينا محمد ﷺ. . . ولذا فلقد وصل إلى سدرة المنتهى. . . نعم أما قلنا أن الله يدخل عباده عليه على قدر أدبهم معه. . . ففي الإسراء والمعراج وصل النبي ﷺ إلى سدرة المنتهى؛ لأنه أكمل الخلق أدباً.

قال تعالى:

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[1].

كان في غاية الأدب أثناء هذه الزيارة ﷺ.

ومن أكثر أدباً منك يا رسول الله، فلقد أدبك ربك،

(1) سورة: النجم، الآية: 17.

وذلك فيما ذكره الهندي في «كنز العمال» عن رسول الله ﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي».

والآن... حان وقت الوداع...

فإني استودع الله دينكم، وأماناتكم، وخواتيم أعمالكم... وأوصيكم بالذوق خيراً، واعلموا أنكم قد عرفتم كما قيل في الأثر:

«ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن علم سبع مرات».



الإيثار

مقدمة لا بد منها

سألني البعض عما سأكتب إن شاء الله فقلت له : سأكتب عن الإيثار ، فوجدته بكل وضوح وبكل صراحة يقول لي : (ماذا تعني) فخرجت بنتيجة خطيرة ألا وهي : أن هناك أخلاقاً إسلامية قد اندثرت بيننا أو بين فئة كبيرة جداً . . .

خُلق اسلامي أمر به الإسلام وجاء به النبي ﷺ واشتمل تاريخنا على نماذج عديدة له .. ونأتي الآن وقد اندثر بيننا.

يا الله... هل أصبحنا بعيدين عن ديننا لهذه الدرجة...!؟

ولكن هناك خيراً... وهناك من المسلمين الذين يطبقون هذا الخُلق... واحسبك منهم ان شاء الله ....

خُلق ليس له وجود عند الغرب

ومن العجيب أن هذا الخُلق لو أردت أن تترجمه إلى لغة

أخرى (الإنجليزية مثلاً) لن نستطيع .... أي أن الكلمة ليس لها مرادف في الإنجليزية ولا في الفرنسية... ليس فقط خُلق الإيثار بل هناك أخلاق أخرى... فمثلاً الحياء تجد ترجمته Ashamed أو Shy| وكلاهما يعنيان خجول... وهي لا تعطي معنى الحياء أبداً، ومثلاً خُلق التواضع تجد ترجمته Humble وهي تعني الخضوع والذلة وهما لا يعطيان معنى التواضع .

ان هذه الأخلاق الإسلامية السامية ليس لها وجود عند الغرب وليست هذه فقط فهناك الكثير ....

ويا سبحان الله .. فاقد الشيء لا يعطيه.

خلق لن تجده إلا في مدرسة النبي ﷺ

فمن أين نأخذ الأخلاق والقيم ...!؟ إننا الآن نلهث وراء الغرب .... ويا ليتنا نأخذ منه التكنولوجيا والحضارة وعلم الإدارة... لقد أخذنا منه التقليد الأعمى...

فيا من تبحثون عن الأخلاق لن تجدوها الا في مدرسة النبي ﷺ.

لن تجده الا وسط أناس آمنوا بالإسلام وعاشوا له.

ماذا نعني بالإيثار ؟

وبعد هذه المقدمة .... فما هو الإيثار؟ ماذا نعني

بالإيثار ؟

إن الإيثار هو: أن تفضل أخاك على نفسك، (حظ من حظوظ الدنيا تتركه لأخيك فيستمتع هو به وتفقده أنت).

وحينما نقول: فلان آثر فلان . . أيّ فضله على نفسه رغبة في الآخرة.

فهل عرفت معنى الإيثار يا من كنت تسأل ...؟

فما شعورك الآن !؟ والآن هيّئ نفسك للقراءة بنية التطبيق.

نماذج للتطبيق

والآن سوف تعيش مع نماذج للإيثار . . نماذج من إسلامنا الجميل تقرأها وتفخر بها. . . وتسأل نفسك سؤالاً: أين هي في مجتمعنا الآن ؟

واطلب منك قبل القراءة ان تعيش معي هذا المثل وتفهم المقصود.

ان المسافر بالقطار يمرّ على محطات حتى يصل الى المحطة الرئيسية التي يريد أن يصل اليها... ان محطتنا الرئيسية هي الإيثار والمحطات الاخرى هي النماذج التي ستقراها الآن .. فبعد كل محطة ستقترب ان شاء الله من المحطة الرئيسية .

ولكن إياك أن تنسى أن القطار لن يستطيع الحركة بدون وقود .

فهلا عرفت وقود المؤمن؟!....

اكسنيها يا رسول الله ......!!

إن المدينة المنورة شديدة البرودة ليلاً، ففي ليلة من ليالي الشتاء القارس نسجت امرأة من نساء الأنصار بردة (عباءة) من قطيفة وجاءت بها إلى النبي ﷺ تعطيها إياه فأخذها النبي ﷺ. . . ولبسها لاحتياجه لها في هذا الجو الشديد البرودة، فخرج بها النبي ﷺ لأول مرة على أصحابه، فنظر إليه رجل من الأنصار، وقال: ما أحسن هذه العباءة اكسنيها يا رسول الله. فقال النبي ﷺ: «نعم» فإذا به يخلعها في الحال. . . فنظر الصحابة للرجل الأنصاري (وكأن لسان حالهم يقول له: ما هذا الذي فعلته؟ إن النبي يحتاجها) فقال الرجل: ولكنني أشد احتياجاً لها من النبي ﷺ إني أريد أن أجعلها في كفني حين أموت[1].

تخيّل معي .. أنك اشتريت بدلة جديدة ولبستها أول لبسة وخرجت بها وقال أحد أصحابك: أعطيها لي... فماذا تفعل !!؟ ليس عندك رد الآن... تذكر أننا في أول محطة....

---

(1) رواه الإمام أحمدفي (الحديث: 5/ 333) بنحوه.

وتعلَّم من ايثار النبي ﷺ .

هي لك ....!!

قضى النبي ﷺ وأصحابه أوقاتاً عصيبة من فقر وجوع وحاجة. . . . .

وذلك في أغلب فترة البعثة، وحينما فتحت مكة وفتحت خيبر وفتحت الطائف كثر المال وجاءت الغنائم، وكان نصيب النبي ﷺ من هذه الغنائم غنم بين جبلين، فنظر أعرابي إلى الغنم، وقال: ما أكثر هذه الغنم، فقال له النبي: «**أتعجبك ؟**» قال: نعم، قال النبي ﷺ: «**هي لك**»، قال: يا محمد أتصدقني القول، قال ﷺ: «**هي لك خُذها إن شئت**» فقام الرجل يجري إلى الغنم ويلتفت حوله. . . فأخذها وعاد إلى قومه يقول: يا قوم أسلموا لقد جئتكم من عند خير الناس، إن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر أبداً[1].

ان النبي كان يربط الحجر على بطنه من شدة الجوع ، وكثير من الصحابة كانوا يفعلون ذلك ... فانظر الى من حاله هكذا حينما تصبح عنده ثروة (غنم بين جبلين) سيحرص ويحافظ عليها ان ذلك من الطبيعي .... ولكن ولكن انظر الى اي مدى كان ايثار النبي ﷺ... وانظر الى

(1) رواه مسلمفي (الحديث: 5974 ـ 5975)، والإمام أحمدفي (الحديث: 3/ 108، 175، 259، 284).

الأعرابي... انه أسلم ودعا قومه ليسلموا.

أما تحب أن تحبّب الناس في الإسلام ....!!؟

فعليك بالإيثار.

جوهر الإيثار

أراك متشوقاً لمعرفة جوهر الإيثار، ولك الحق في ذلك، وإنها والله جملة لا تحتاج إلاّ تطبيقاً وفعلاً لا قراءة وفقط . . .

يقول أحد الصحابة: «ما منع رسول الله ﷺ أحداً شيئاً يملكه».

يا الله ....!! لم يطلب أحد من النبي ﷺ شيئاً يملكه إلا وأعطاه إياه.

من منّا عنده مثل هذا الإيثار ...؟ تقولون: انه النبي فكيف نكون مثله ؟

فعليكم بالاقتداء به... ووالله سنرى منكم من لا يمنع أحداً شيئاً يملكه... وما ذلك على الله ببعيد.

لقد عجب الله من صنيعكما .....!!

جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله إني مجهد (لا أجد طعاماً) فأرسل النبي ﷺ إلى بعض زوجاته: هل

عندكم من شي؟ فكان هناك جواباً واحداً ألا وهو: «لا والذي بعثك بالحق ما عندنا إلا الماء». فقام النبي ﷺ في أصحابه، وقال: «مَنْ يُضِيفُ هَذَا؟» فقام رجل من الأنصار، فقال: أنا يا رسول الله أضيفه، وأخذه وأسرع إلى زوجته، وقال لها: هل عندك من طعام؟ قالت: لا إلا قوت صبياني. فقال: علليهم بشيء فإذا أرادوا العشاء فنوّميهم، حتى يأتي الضيف، ثم ضعي الطعام وأطفئي السراج، كي نشعره أننا نأكل معه كي يأكل هو وضعي أمامه الطعام .. وجلس الضيف وأكل، وفي صلاة الفجر ذهب إلى المسجد، فإذا بالنبي ﷺ يقول: «لَقَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُما وَضَيفَكُما اللَّيْلَةَ»[1].

مشهد تمثيلي واقعي... هيئت له كل أسباب النجاح... فاستحق أن ينال جائزة «لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة». نعجب الله، أي رضي الله... ما رأيك ألا تحب أن يرضى الله عنك ؟

ألست معي أن ظروفك أفضل بكثير من ظروف هذا الصحابي وزوجته ؟

فمالك لا تفعل مثلما فعل !!

---

(1) رواه البخاري في (الحديث: 3798)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (الحديث: 4/ 185) بنحوه.

مشهد سيّء

ثلاثة من الأصحاب في سفر، فتجد كل واحد منهم يخفي طعامه عن الآخر، حتى لا يأخذ منه شيئاً أو يطلب جزءاً!!...

اسمعك تقول: الحمد لله على خُلُق الإيثار ....

شعار الإيثار

وهو شعار وضعه النبي ﷺ لكل مسلم، فاجعله من الآن شعارك.

يقول ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[1].

ومعنى لا يؤمن: أي لم يكتمل ايمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

ولكن ايمانك لن يكتمل الا بالإيثار .....

فهيا... وابدأ من الآن.

ظهره كالقنفذ من السهام... فأين إيثاركم انتم...!؟

وإليك نماذج من إيثار الصحابة رضوان الله عليهم...

---

(1) رواه البخاري في (الحديث: 13)، ومسلم في (الحديث: 168)، والترمذي في (الحديث: 2515)، والنسائي في (الحديث: 5031)، وابن ماجه في (الحديث: 66).

هذا أبو دجانة يؤثر النبي بروحه في غزوة أحد حينما يرى السهام تأتي إلى النبي من كل مكان فيترس على رسول الله ﷺ أي: (يأخذ النبي في حضنه وينام فوقه) فرآه هكذا سيدنا أبو بكر الصديق وقال: نظرت إلى ظهر أبو دجانة فإذا ظهره كالقنفذ من السهام.

كنا نتحدث عن الإيثار بالمال... أما هذا الإيثار فإنه من نوعٍ آخر ...

انه الإيثار لله بالأرواح... تملأ جسده السهام ويجرح ويكاد يقتل حباً للنبي ﷺ وإيثاراً له .... فأين ايثاركم انتم...!؟

ان ايثارنا اليوم للنبي ﷺ بحفظ سنته وايثارها على كل العادات والتقاليد والأعراف الأخرى... نريد منك الكثير يا ابا دجانة في هذه الأيام ...

نحري دون نحرك يا رسول الله

وإليك هذا النموذج الفذّ... إنه سيدنا طلحة بن عبيد الله...

يقول: اخفض رأسك يا رسول الله لا يُصِبْك سهم، نحري دون نحرك يا رسول الله، ويقذف النبي ﷺ بسهم من السهام، فيراه طلحة فيضع يده حتى لا يصل السهم للنبي ﷺ فيخترق السهم هذه اليد الطاهرة وتُشل .

تخيَّل الموقف... السهم يتوجه الى النبي ﷺ وطلحة يضع يده.

انه موقف عجيب... ولكن لا تتعجب... فمن يؤثر نفسه ويفدي بها النبي ﷺ تهون عليه يده... الم يقل «نحري دون نحرك يا رسول الله»

اما آن لك ان تاخذ خُلُق الإيثار ماخذ الجد؟

«اللهم إني اشهدك أن يزيد بن السكن قد وفى»

ويقف النبي ﷺ يوم أحد ويقول: «**مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسه؟**» فيأتي من شباب الأنصار عشرة (سن 18، 19) فيستشهد الأول ثم الثاني ثم الثالث، حتى يستشهد العشرة وآخرهم يزيد بن السكن، ويموت على قدم النبي ﷺ، وهو يدافع عنه فيقول ﷺ: « **اللهم إني أشهدك أن يزيد بن السكن قد وفى**» وذلك فيما ذكره ابن هشام في السيرة النبوية.

يا شباب .... يا من انتم في سن يزيد بن السكن .. الا تحبون النبي ﷺ؟ ان كنتم تحبون النبي ﷺ تمسكوا بسنته... وكونوا ميسرين لا معسرين ومبشرين لا منفرين... !! فهذا ايثاركم للنبي ﷺ.

أعظم الإيثار

بمراجعة ما سبق من نماذج للإيثار. . . نجد إيثاراً يقوم به

شخص، لكن أن تجد بلداً بالكامل عندها إيثار. . . هذا هو أعظم الإيثار . . . .

إن إيثار الأنصار فاق الوصف لإخوانهم المهاجرين. . . كل مهاجر لا يمتلك إلا ما عليه من ملابس، بالرغم من أنهم كانوا أغنياء . . .

ومن المعروف أن أهل المدينة أهل زراعة، ولكن أهل مكة تجار.

ان ايثار الأنصار شيء خيالي لا يكاد يصدقه العقل.

فانه والله ايثار من نوع عجيب... فالمهاجر لم ينزل على اخيه الانصاري الا بقرعة... فاذا قيل فلان ينزل عند مَنْ؟ ترى كل الانصار يقولون: عندي... ما هذا!! اي ايثار هذا!!؟

هل هذا معقول ...!!؟ ليس هناك صلة رحم او قرابة او اي شيء يربطهم، الا الأخوة التي ربطهم بها الإسلام .

مشاهد يجب الا نراها أبداً من الآن ....!!

الام كَبُرت في السن ولا تستطيع المعيشة وحدها، وكل ابن من ابنائها يقول لاخيه: خذها عندك... ليتهربوا من هذا الامر .

أم الزوج اعتادت أن تجلس عند ابنها في بيته بعض

الوقت...، فتجد زوجة الابن لا ترحب بها .

يا الله ألم تتعلموا... ! ؟

تعلّموا من ايثار الانصار.

كرم الأنصار وعفة المهاجرين

وإليك نموذجاً من إيثار الأنصار للمهاجرين، وهو نموذج سيدنا سعد بن الربيع وعبد الرحمٰن بن عوف، وأرجوك أن تقرأ الأسطر التالية بقلبك... قال سعد بن الربيع الأنصاري: يا أخي هذه أموالي جمعتها كلها أقسمها بيني وبينك نصفين، ولي من الأراضي كذا وكذا بيني وبينك نصفين، وهذا بيتي لي نصفه، ولك النصف الآخر، وإني متزوج امرأتين فآتيك بهما تنظر أيهما أحب إليك أطلقها حتى تبلغ عدتها فتتزوجها!! فما كان من عبد الرحمٰن بن عوف إلا أن قال: جزاك الله خيراً، أين السوق ؟

ما هذا ...!؟ انك والله ان لم تخرج الا بهذا النموذج لكفاك... فهل انت متخيل ...!؟ تاتي باموالك وتقسمها بينك وبين اخيك بالنصف و....

ولكنني أرى بعض الزوجات لم يعجبهنّ هذا الكلام....!؟

وأرجوك لا تنشغلي بهذا ولا تشتتي ذهنك ولا تفكري

الا في الإيثار... وكوني يقظة واسالي نفسك في ايّ محطة انتِ الآن ....!؟

اعظم هجرة في التاريخ

« حقيقة. . . لم تتم هجرة في التاريخ من بلد إلى بلد إلا بدم، فهجرة الأوربيين مثلاً إلى أمريكا كما رأينا في الأفلام. . . كم من الهنود الحمر قد قتلوا. . . كم من الدماء قد أريقت حتى تكون أمريكا للأوربيين. . . ولكن أعظم هجرة في التاريخ: هجرة المهاجرين إلى المدينة المنورة؛ لأنها كانت في الإسلام. . . كلها حب. . . كلها إيثار.

ان الدنيا في اشد الاشتياق الى الإسلام ....

يا الله ....!! كل انصاري يقسم بيته وماله وكل ما يملك نصفين بينه وبين اخيه المهاجر.. الا تحب ان تكون مثلهم ...؟ ابدا الآن وانوِ ان تغيِّر حياتك وتجعلها كلها ايثاراً.. هل تستطيع ذلك...!!؟

اثر الإيثار

إن من أثر الإيثار أن تعم البركة . . ويرضى الله عنك[1] ويوسع عليك أكثر: واعلم أنك إن أمسكت ولم تؤثر أصبح عندك بدلاً من الإيثار أثرة (فإن الأثرة هي عكس الإيثار) ومعناها أن تؤثر نفسك على غيرك .

«نداء عاجل... الى كل شاب وفتاة... الى كل رجل وامرأة .....

«افتحوا دولاب الملابس... ستجدون ملابس مضى عليها سنتان وثلاثة ولا يلبسها احد... أين ايثاركم؟... اروا الله من أنفسكم خيراً واعلموا ان النبي ﷺ كان يؤثر غيره بالجديد.

فابدأ أنت الآن وآثر غيرك بملابسك القديمة...

او غير ذلك ....!!

واقرأ هذه الأسطر التالية... ولا تتعجب .. إنه خُلُق الإيثار حين يصل إلى ذروته... قال النبي ﷺ للأنصار: «**إخوانكم** (يقصد المهاجرين) **تركوا الأموال والأولاد وجاؤوكم لا يعرفون الزراعة فهلا قاسمتموهم؟**» قالوا: نعم يا رسول الله نقسم الأموال بيننا وبينهم بالسوية، فقال لهم النبي ﷺ: «**أو غير ذلك؟**» قالوا: وما غير ذلك يا رسول الله؟ قال: «**تقاسموهم الثمر**»، قالوا: نعم يا رسول الله، بم؟ قال ﷺ: «**بأن لكم الجنة**»[1].

سبحان الله... لا يستطيع المهاجرون الخروج الى المدينة للتجارة؛ لأن المدينة محاصرة، فلن ينفعهم المال الذي قاسمهم فيه الأنصار.

---

(1) رواه البخاري في (الحديث: 3782) بنحوه.

ولكن انظر الى ايثارهم... انه ايثار بلا نهاية وبلا حدود... وكيف لا يكون هكذا والجنة جزاؤه ؟

أيهما تحب أن تكون .....!؟

كان الأنصاري يعمل في أرضه السنة كاملة ثم يأتي بالمحصول، ويذهب به إلى بيت أخيه المهاجر قبل أن يذهب إلى بيته ويقول له: اختر ما تشاء، وإني سأتركك ساعة . . .

ايُّ سلوك هنا .....!؟ ايُّ خُلُق هنا .....!!

انه خُلُق الإيثار ...وتخيَّل اذا انعدم هذا الخُلُق الآن...

مشاهد...

- معك في جيبك جنيه قديم جداً تريد الخلاص منه فتتصدق به .....!!

- لقد اشتريت ٦ قمصان، وتعطي صديقك ٣ قمصان، وقبل الذهاب اليه تختار انضل وأحلى واشيك ٣ قمصان والباقي تعطيه له...!!

(فايهما تحب ان تكون .... كالانصار ام ....)

اشترطت علينا وقد وفينا .....

فلما فتحت خيبر قال النبي ﷺ للأنصار: «جزاكم الله

خيراً قد وفيتم. . .» قالوا: يا رسول الله اشترطت علينا شرطاً واشترطنا عليك شرطاً، اشترطت علينا وقد وفينا، وإنّ لنا عندك الشرط (الجنة). قال: «**لكم بما وفيتم**»[1].

الله أكبر، ونعم الجزاء ....

ألا تحبون الجنة... ألا تشتاقون الى الجنة ....!؟

هيا تخلّقوا بخلق الإيثار تدخلوا الجنة مع الأبرار

الإيثار يعالج أمراض القلوب

بالله عليك. . . تخلّق بخلق الإيثار وستجد الخير الكثير. . .

ستزداد نفسك سخاءاً . . . . سيخرج من قلبك الحقد والغل والحسد والحقد. . . .

انها والله علاقة عجيبة .... بين الإيثار وسلامة الصدر... بين الإيثار والرحمة... بين الإيثار وصفاء النفس... بين الإيثار والتواضع لخلق الله ...

اذا أردت أن تنقّي صدرك فتعلّم الإيثار.

س: في أيّ محطة أنت الآن ...!!؟

(1) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (الحديث: 5/ 101).

المدينة الفاضلة... حلم قابل للتحقيق

حتى أنه حينما جاء مال كثير من البحرين فقال النبي ﷺ: «هذا للأنصار وحدهم» فجاء الأنصار، وقالوا: لا نأخذها يا رسول الله حتى تقسمها بيننا وبين إخواننا، فجاء المهاجرون إلى النبي ﷺ وقالوا: يا رسول الله ما رأينا قوماً أبذل من كثير ولا أحسنَ مواساةً من قليلٍ من قوم نزلنا بين أظهرهم (يعنون الأنصار) لقد كفَوْنا المؤنة، وأشركُونا في المهنإ حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله فقال: «لا ما دعوتم الله لهم وأثنيتُم عليهم»[1].

ماهنا ...؟ اي مجتمع هنا ؟

يا من تبحثون عن المدينة الفاضلة... لقد تحققت في عهد النبي ﷺ وخلفائه... وتقبل التحقيق مرة اخرى .... لو عاد الإيمان للصدور... لو عاد الإيثار من جديد... لو صارت الجنة هي الامنية.

والله لا اشرب حتى يشرب اخي ...!!

هل تعرف من هو ابن أبي جهل؟ نعم إنه هو: عكرمة ابن أبي جهل. . . حارب النبي 22 سنة ثم أسلم، وحسن إسلامه، ثم مات شهيداً، وكان السبب خُلُق الإيثار.

(1) رواه أبو داود في (الحديث: 4812)، والترمذي في (الحديث: 2487).

أسمعك تقول: ابن أبي جهل يموت شهيداً .....!!

فكيف استشهدت يا عكرمة ؟

في يوم معركة اليرموك كانوا يضعون جرحى المسلمين في مكان قريب منهم، وكان من شدة المعركة أن نسوا الجرحى، وكان من ضمن الجرحى عكرمة بن أبي جهل، وكان ابن عمه في السقيا، فيقول: بحثت عن ابن عمي عكرمة فوجدته في الجرحى يئِنّ. . . ويتألم، يكاد يموت من شدة العطش، وبجواره عشرة من الجرحى المسلمين فقلت: أسقيه، فأخذت الماء وجريت إلى عكرمة وقلت: اشرب فقال لي: نعم .فأخذ الماء فبينما هو يشرب سمع أخاه الذي بجواره يقول: آه، ويريد أن يشرب، فقال: والله لا أشرب حتى يشرب أخي، فذهبوا إليه فحدث مع العشرة ذلك حتى وصلوا إلى العاشر فقال: لا والله لا أشرب حتى يشرب عكرمة، فعادوا إلى عكرمة، فإذا هو قد مات شهيداً . . .

ألا تستحي... انك تبخل بعشرة جنيهات... وتبخل بملابسك القديمة وترفض أن تعطي زميلك في العمل معلومة...

ألم يؤثر فيك هذا الموقف ...؟

تذكر... أننا قطعنا نصف الطريق .....!!

ولكني أحب السمك ....!!

وإليك هذا الموقف الذي ذكره الهندي في «كنزالعمال»... موقف نتعرض له ليل نهار ولكن...!!

في يوم من الأيام اشتاق عبد الله بن عمر للسمك .. وكان يحب السمك المشوي... فبحثت زوجته زمناً حتى استطاعت أن تأتي بسمكة مشوية ووضعتها أمام عبد الله .. وإذا بمسكين يطرق الباب فقال عبد الله: أعطيه السمكة، فقالت زوجته: عندنا في البيت لحم، وطعام ولعل الرجل يستفيد باللحم قال: ولكني أحب السمك!!. وفعلاً أعطت السمكة للرجل المسكين ثم خرجت وراءه وقالت له: أشتريها منك بدرهم؟ قال المسكين: نعم. فاشترتها منه ودخلت البيت، ووضعت السمكة أمام عبد الله، وحينما همَّ بأكل السمكة إذا بالمسكين بالباب، فقالت له: ماذا تريد؟ فقال عبد الله: أعطيه السمكة، ثم حدث ما حدث سابقاً واشترتها منه بدرهم ثانٍ، فوضعت السمكة أمام عبد الله، فجاء المسكين في المرة الثالثة، فقالت له: أستحلفك بالله لا تعد. فقال عبد الله بن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أيما امرئ اشتهى شهوة (حلال) فردَّ شهوته وآثره على نفسه غفر له»**.

ليس عيباً أن تشتهي شهوة حلالاً، وليس عيباً أن تحصل عليها، فعبد الله بن عمر يشتهي السمك، ومن

المعروف أن المدينة ليست بلدة ساحلية... أي أن العثور على سمك ليس سهلًا...

وسبحان الله !! حينما وجد السمكة .....!! آثر بها غيره مرة واثنين ....

«ولكني أحب السمك»... جملة لها معنى ومغزى.

جملة لها عمق .... تحتاج لعقل ناضج وقلب نابض...

﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1]

س: ما هو أفضل شيء تشتهيه ...؟!

«فهل تستطيع أن تؤثر غيرك به حتى يغفر الله لك»؟!

كنت أريده لنفسي ولأوثرنّ به عمر ......!!

ومن نماذج الإيثار. . . هذا الموقف. . . حينما طعن أبو لؤلؤة المجوسي سيدنا عمر بن الخطاب وسقط مضرجاً بدمائه وعلم عمر أنه الموت قال لابنه: يا عبد الله اذهب إلى أم المؤمنين عائشة وقل لها: عمر بن الخطاب، ولا تقل أمير المؤمنين فلم أعد لكم أميراً يستأذنك أن يدفن مع صاحبيه، فقالت السيدة عائشة ﷺ : كنت أريد هذا المكان لنفسي ولأوثرن به عمر .

(1) سورة: آل عمران، الآية: 92.

أتعرف من هما صاحباه ...؟ انهما رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق ﷺ ومع ذلك آثرت عمر على نفسها ودفنت في البقيع.

ارأيتم كيف يسمو الإيثار بالنفس ....!؟

رضي الله عنك يا أبا هريرة

وإليك هذا المشهد اللطيف الذي يُعلِّم فيه النبي ﷺ أبا هريرة ويعلّمنا نحن أيضاً الإيثار، يقول أبو هريرة: كنت أجوع جوعاً شديداً حتى أُصرع من شدة الجوع ويقولون: مجنون، ووالله ما بي جنون، إنما هو الجوع، فكنت أجلس بجوار منبر النبي ﷺ يمر بي الرجل من المسلمين أستقرئه آيات الإنفاق *(حتى يلين قلبه ويشعر بي فَيُنفِق ويعطيني)*، فمر بي أبو بكر فقرأها عليّ ومر (لم يعره اهتماماً) وقرأها عمر ومرَّ أيضاً، فمر النبي ﷺ فنظر إليّ فعرف حالي فتبسم وقال: يا أبا هريرة الحق بي فدخل ﷺ بيته واستأذن، وقال لزوجته: هل عندنا من شيء؟ قالت: جرة لبن تكفي رجلاً أو رجلين *(ايا لسعادتك يا أبا هريرة .... أخيراً)* فقال لي النبي ﷺ: **«يا أبا هريرة اذهب وائتني بأهل الصفة»** *(وهم فقراء المسلمين حوالي 100 فرد)* فاغتمَّت نفسي وأَصبحت مهموماً وقلت: وأين هذه الجرة من أهل الصفة؟ ولكن كان لابد من طاعة رسول الله، فذهبت وأتيت بهم، فنظر إليّ النبي مبتسماً *(ان النبي ﷺ يُعلِّم أبا هريرة ويُعلِّمنا نحن أيضاً)*، وقال لي: «اسقهم» *(ايا الله... أبو هريرة*

هو الذي يسقيهم)، فأخذت الجرة أمرُّ بها على الرجل يشرب حتى يرتوي، أقول: ما بقي شيء، فيأخذها الثاني، فيشرب حتى يرتوي حتى شربوا جميعاً والنبي ﷺ ينظر إليّ وهو يبتسم. وقال: «**يا أبا هريرة لم يبقى إلا أنا وأنت**»، قلت: صدقت يا رسول الله، قال ﷺ: «**اشرب يا أبا هريرة**» (وهل يبقى شيء بعد كل هذا...) فشربت ثم أعطيتها له فقال: «**اشرب يا أبا هريرة**» فشربت، ثم أعطيتها له، فقال: «**اشرب يا أبا هريرة**» فشربت، فما زال يقول لي: «**اشرب، اشرب**» حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكاً. فأخذها النبي ﷺ فشرب الفضلة[1].

كانت تلك معجزة من معجزات النبي، حتى يتعلّم أبو هريرة والمسلمون جميعاً الى يوم الدين هذا الخلق العظيم... خلق الإيثار.

ان في الإيثار بركة، فإذا شعرت أن ما معك قليل فآثر غيرك يكثر ان شاء الله... اشعر بأن وقودك اوشك على الانتهاء... هيا جدّد وقودك.

تذوق حلاوة الإيثار

هيا... أخرجوا الشُحَّ من قلوبكم ترزقوا سخاء

---

(1) رواه البخاري في (الحديث: 6452)، والترمذي في (الحديث: 2477).

النفس... والله يا شباب إن للإيثار حلاوة .. وإن للإيثار لذة لا توصف .... يستشعرها القلب النقي والنفس الطاهرة... إن الإيثار يسمو بالمشاعر الإنسانية لدرجة أنك حينما تؤثر أحداً على نفسك في طعام تحبه فستشعر وكأنك أكلته بالفعل... إذا آثرت أحداً بشراب تحبه فستجد حلاوته في فمك...

هيا من الآن ....درِّب نفسك ...

فكلما أحببت شيئاً آثر غيرك به في كل صغيرة وكبيرة وستجد نفسك انساناً آخر... انساناً يحب الخير... بل يعشقه... انساناً يبحث عن الإيثار في كل مكان:

ـ في المواصلات وأنت متعب تقوم للكبير أو للمرأة إيثاراً لهم.

ـ إذا خُيِّرت بين شيئين ستختار أقلهما لك، وأفضلهما لأخيك إيثاراً له.. هيا جرِّب وذُقْ حلاوة الإيثار .

معجزة لنتعلم الإيثار .....!!

مكث الصحابة حوالي 15 يوماً يحفرون الخندق، ومن شدة الجوع ربطوا على بطونهم الحجارة، فجاء جابر بن عبد الله وقال للنبي ﷺ: يا رسول الله عندنا في البيت دجاجة وبقية شعير، فأقدم يا رسول الله وكل معي، فنظر إليه النبي ﷺ وقال له: «**وحدي؟**». فقال جابر: ومعك رجل أو رجلان، فوقف

النبي ﷺ على تل وقال: «**يا معشر المهاجرين، يا معشر الأنصار، غداؤنا اليوم عند جابر بن عبد الله**»، يقول جابر: فتسللت سريعاً إلى البيت أقول لزوجتي: أنجديني رسول الله قادم ومعه الجيش . . . !! فقالت المرأة المسلمة المؤمنة: أوَ أخبرت رسول الله بالطعام؟ قال: نعم، قالت: فالله ورسوله أعلم، فذهب رسول الله إلى جابر، فقال رسول الله ﷺ: «**يا جابر أنت بوابنا اليوم**». . . وهيأ النبي ﷺ الخبز، وأخذ جابر يُدخل عليه عشرة عشرة يطعمهم ثم يخرجوا وهكذا من بعدهم، فطعم الجيش كله ثم دخل جابر، يقول: كلما خرجت مجموعة أقول لن يأكل الذي بعدهم فيخرجون وقد امتلأت البطون، يخللون أسنانهم، يقول جابر: فقال لي النبي ﷺ: «**يا جابر بارك الله لك ولأهل بيتك في طعامك**»[1] فدخلت فإذا بالطعام كما هو إلا قطعة من الدجاجة.

الله أكبر .... معجزة ليتعلم جيش خلق الإيثار... وقد تعلم.

فهل تعلمت انت وبدأت .....!؟

اني اخاف من الإجابة !!!

أمة ضاع فيها الإيثار

بعدما استشهد سيدنا جعفر بن أبي طالب يوم مؤتة ترك

(1) رواه البخاري في (الحديث: 3070) و(الحديث: 4102) بلفظه مطوّلاً، ومسلم في (الحديث: 5283).

ثلاثة أطفال صغار، فوقف النبي ﷺ يقول: «من يكفل أولاد جعفر» (وكان الصحابة في ذلك الوقت فقراء وضعفاء).

فخرج ثلاثة من الصحابة يتنافسون لكفالة أولاد جعفر (بالرغم من فقرهم جميعاً)

لا تتعجبوا من تنافس الثلاثة رغم عدم مقدرتهم الكاملة...

فإن جعفر بن أبي طالب نفعه الإيثار حتى أن النبي ﷺ سماه: أبا المساكين[1] ولكن اليوم... يا حسرة على أمة ضاع فيها الإيثار ...

لا يجد الولد من يرعاه بعد موت أبيه لتهرب أعمامه من تحمل المسؤولية.

لا طمانينة ولا استقرار إلا مع خُلق الإيثار

انظر إلى واقعنا الآن. . . الأب يعمل ليل نهار والأم تعمل ليل نهار، من أجل أن تكون هناك حياة طيبة وسعيدة لأطفالهم ومن خوفهم عليهم ويقولون: لا نعرف ما تُخْفيه الدنيا لهم.

---

(1) رواه الترمذي في (الحديث: 3766)، و ابن ماجه في (الحديث: 4125)، و ابن حجر في «فتح الباري» (7/ 76).

بالله عليكم... لو المجتمع ساد فيه خلق الإيثار... هل سأخاف على ابني بهذه الدرجة؟... لا لأنني أعلم أن المجتمع سوف يهتم به وسيجد من يرعاه ويعتني به... فلن يشعر المجتمع بالأمان والطمانينة والاستقرار الا مع خلق الإيثار...

الم يهتز قلبك الم تدمع عينك ...؟! الا تحب مجتمعك...؟ فابدأ بنفسك وتخلَّق بخُلُق الإيثار.

لعل الإحياء ينفع الأحياء

يقول الإمام الغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين»: والإيثار على ثلاث منازل:

الأولى: أن تنزل غيرك منزلة الخادم فتُعْطِيه مما يبقى منك.

الثانية: أن تنزل غيرك منزلة نفسك فكما تأخذ تعطيه.

الثالثة: أن تنزل غيرك فوق نفسك فتفضل حاجته على حاجتك.

أيُّ المنازل الثلاثة تحب ...؟

أسأل الله أن نكون جميعاً من أصحاب المنزلة الثالثة

ملحوظة: لقد أوشك القطار على الوصول ....

غاية الإيثار ....!!

إن غاية الإيثار أن تؤثر مرضاة الله على مرضاة الناس، وأن تؤثر رضا الله على رضا من سواه، وأن تؤثر رضا الله على هوى نفسك.

فمرضاة الله أولى. . . دائما اسأل نفسك سؤالاً: ما الذي يرضي الله ؟

ستجد لذتك في بسمة غيرك بإيثارك اياه.

ستجد فرحتك في سعادة غيرك بإيثارك اياه.

هل تذوقت ذلك من قبل؟

احفظ (غاية الإيثار: ان تؤثر رضا الله على رضا من سواه) وابدا في التطبيق.

مسك الختام «من القلب إلى القلب»

كتب رجل صالح قبل موته رسالة لابنته يقول فيها:

«بنيتي لم أعُدْ أفزع من الموت، ولو جاءني اللحظة، لقد أخذت من الحياة كثيراً.

أقصد أعطيت كثيراً، أحياناً يا بنيتي يصعب التفرقة بين

الأخذ والعطاء؛ لأنهما عند المؤمن لهما مدلول واحد، في كل مرة أعطيت فيها أخذت منها؛ بل أخذت أكثر مما أعطيت».

والله انها لكلمات عظيمة ومؤثرة لو لاقت قلوباً طاهرة.

حقاً... ما خرج من القلب لا يصل الا الى القلب.

ماذا تنتظر ....!! الم تصل بعد .....!؟

آهٍ منك. لقد وصل القطار اما انت ......!!!

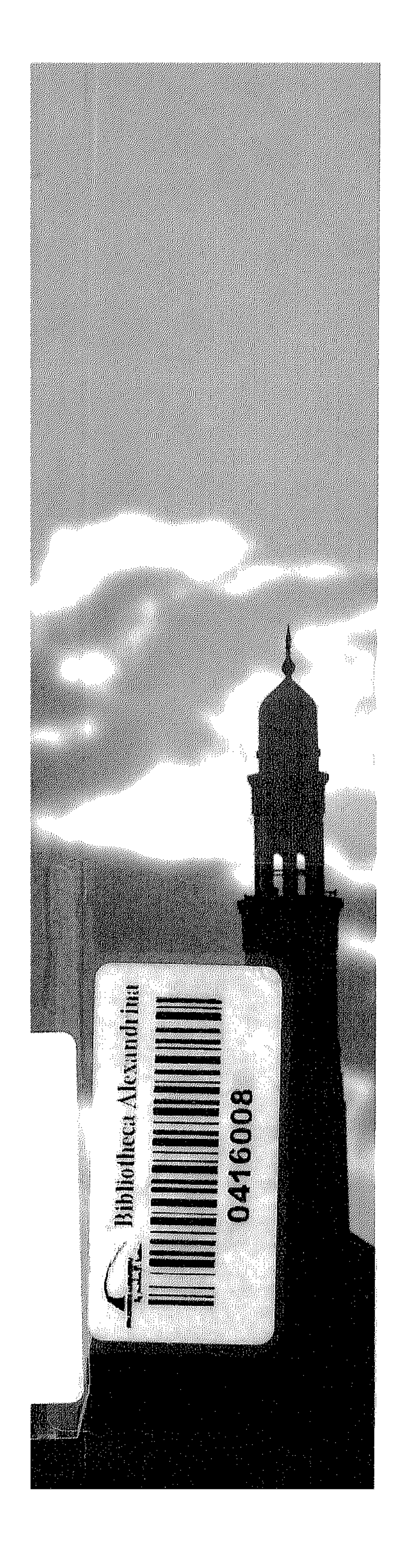
هيا.. قم وانهل من بحور الامن والسعادة..

ماذا تنتظر!؟...

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهرس المحتويات







الاسم: عمرو محمد حلمي خالد

الميلاد: 1967/9/5 - الإسكندرية.

المؤهل الدراسي: حاصل على بكالوريوس تجارة - جامعة القاهرة 1988

زميل جمعية المحاسبين والمراجعين المصريين.

الدراسات الإسلامية: - خريج معهد الدراسات الإسلامية

- دارس بكلية الدراسات العربية والإسلامية

- يعد الماجستير في الاقتصاد الإسلامي

العمل: محاسب قانوني (شريك ومؤسس) بمكتب المحاسبون العرب

الحالة الاجتماعية: متزوج ولله عنده على

التوزيع في جمهورية مصر العربية

أريج للنشر والتوزيع

4 شارع اليسر - متفرع من شارع مكة - الدقي

ت / ف: 3387836 - 3366963 - 3379910 (202)+

البريد الإلكتروني: info@areej.com.eg

www.areej.com.eg

